الفصل السادس

الأطر التي تواجه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية

نشأت وسائل اتصال في هذا العصر لا ضابط لها من عقيدة أو شريعة أو أخلاق، وسرت هذه الوسائل في الانفلات من الضوابط تاركه أثراً واضحاً على الجماهير، لذا كان لابد من وجود ضوابط لهذه الوسائل في الدولة الإسلامية ولابد من أطر توجه وترشد الأداء الاتصالي وهذا ما يعالجة هذا الفصل من خلال ثلاثة أطر: إطار العقيدة وإطار الشريعة وإطار الأخلاق.

أولاً: إطار العقيدة:

نتناول هنا مفهوم وأهمية العقيدة الإسلامية وكيفية ضبط وسائل الاتصال الجماهيري من خلال هذه العقيدة، وأنها يجب أن تكون هي المعيار والإطار لضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية، تتعاون في ذلك مع إطار الشريعة والأخلاق حيث يمثل كل منهما مبحثاً قائماً بذاته.

فمفهوم العقيدة ينبغي أن يكون واضحاً أمام القائمين على أمر الاتصال في الدولة الإسلامية، وأن يستصحبوا هذا الفهم أثناء ممارستهم للعمل الإعلامي، فالعقيدة ليست مختصة بالإسلام بل كل ديانة أو مذهب له عقيدته التي يعتنقها أصحابها ويقيمون عليها نظام حياتهم وهذا أمر ينطبق على الأفراد والجماعات والعقائد منذ بداية الخليقة، وإلى وقتنا الحاضر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان:

القسم الأول: يمثل العقيدة الصحيحة وهي العقيدة التي جاء بها الرسل الكرام وهي عقيدة واحدة منزلة من العليم الخبير لا يتصور بأي حال من الأحوال أن تختلف من رسول إلى آخر ومن زمان إلى زمان.

القسم الثاني: يشمل العقائد الفاسدة، والتي جاء فسادها من كونها أفكار البشر ومن وضع زعمائهم ومفكريهم، ومهما بلغ علم البشر فإنه سيبقي مقيداً متأثراً بما حولة من عادات وتقاليد وأفكار.

والعقيدة الصحيحة اليوم تمثل الإسلام دون سواه، لأنه الدين المحفوظ الذي تكفل الله بحفظة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

والأديان الأخرى وإن كان في عقائدها نتفاً من الحق فإنها لا تمثل الحق كله لذا تصبح العقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء وهو بدون عقيدة ضائع تائه يفقد ذاته ووجوده، والعقيدة الإسلامية وحدها هي التي تجيب على التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنساني بل تحيره، من أين جاء ؟ ومن أين جاء هذا الكون ؟ وما دورنا في هذا الكون ؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا ؟ وهل هناك عوالم أخرى غير منظورة وراء هذا المشهود ؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان ؟ وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها. وكيف تكون تلك إن كان الجواب بالإيجاب ؟ .

لا توجد عقيدة سوي العقيدة الإسلامية اليوم تجيب إجابة صادقة مقنعة عن تلك التساؤلات، وكل من لم يعرف هذه العقيدة أو لم يعتنقها فإن حاله سوف يكون في اضطراب[1].

ومن هنا تنشأ أهمية العقيدة الإسلامية وضرورتها، وتبني هذه العقيدة في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية .

والعقيد الإسلامية التي تشكل الإطار الضابط لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لها مصدر إذ يعد القرآن الكريم مصدرها الأول وهو منهج الله ودستور الحياة في العقيدة الإسلامية والعبادة وفي الاقتصاد والسياسة وفي التربية والسلوك وفي السلم والحرب، تربية للفرد وبناء للشعب وتمكيناً للأمة لتنهض بمسؤليتها نحو الحق والعدل والسلام .

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **استكون فتن كقطع الليل المظلم، قلت: يارسول الله ما المخرج منها، قال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيرة أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب به الآراء ولا تشبع به العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق**

(١) عمر سليمان الأشقر، العبادة في الله، ط١٠، الأردن، دار النفائس، ١٩٨٥م، ص١٤ – ١٥ .

على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا من علم علمه سبق ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم][1].

والمصدر الثاني من مصادر العقيدة الإسلامية السنة النبوية وهو ما ثبت عنه ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات تتصل بمعاشه ومعاده وعمله وعلمه وحربه وسلمه وعاداته وعباداته وسلوكه وأخلاقة .

والمصدر الثالث هو ما يحفظ التاريخ لنا ويحمل إلينا من سنن الخلفاء الراشدين وأقوال الصحابة وآراء التابعين واجتهادات الأئمة واستنتاجات العلماء وما خلفوا من علم وحكمة [2].

العقيدة الإسلامية التي ينبغي أن تضبط الأداء في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية هي العقيدة التي حولت هذه الأمة من رعاة غنم إلى رعاة أمم ومن قبائل بداوة إلى أمة حضارة، وهيأت لها سبيل النصر على كسرى وقيصر، وفتحت لها باب السيادة على معظم الدنيا في عشرات من السنين[3].

وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لابد أن تنتج البرامج وتخرجها على أساس العقيدة الإسلامية واليقين بوجود الله سبحانه وتعالى وأن تسلك في ذلك مسلك القرآن الكريم، إعلان الإيمان بالله ليس صعباً على العقول ولا بعيداً عن فطرة الإنسان بل إن كتاب الكون المفتوح صفحات واضحات في دلالتها على وجود الله سبحانة وتعالى شاهداً على وحدانيته وكماله، وإنك لتجد هذا المعنى في أكثر سور القرآن الكريم وخاصة السور المكية التي عنيت بتثبيت العقيدة وتأكيد حقائق الإيمان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [4].

---

(١) محمد بن عيسي الترمزي، سنن الترمذي، جزء٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص٤٨٧.
(٢) كمال محمد عيسى، العقيدة الإسلامية سفينه النجاة، ط١، جدة، دار الشروق، ١٩٨٠م، ص٣٨ – ٤١.
(٣) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ط٩، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠م، ص٣١٠.
(٤) سورة الأعراف، الأية ٥٤.

هذه الآية تضمنت تعريف العباد بخالقهم العظيم فهو سبحانة وتعالى خالق السموات والأرض في ستة أيام وهو الذي قدر لهذا الكون أمره ودبر أحواله، ويكفي أن ينظر العاقل إلى ظواهر الفلك وأن يتأمل تعاقب الليل والنهار في هذه الحركة الدائبة المطردة التي لا تفتر ولا تختل منذ أزمان بعيدة موغلة في القدم ولا يعلم بدايتها إلا الله سبحانة وتعالى ولا يعلم نهايتها إلا هو فكل هذه الكواكب والنجوم على كثرتها وعظم خلقها وخطر شأنها وكبر حجمها مسخرات بأمره سبحانة وتعالى، فهو خالقها ومسخرها ومنظم حركتها لا تستطيع أن تخالف ولا أن تتوقف .

فأي عقل يأبى قبول الإيمان بوجود الله سبحانه وهذه آياته في الأرض وفي السماء ومن ذا الذي ينازع في أمر الكواكب والنجوم أو يدعي أن له شأناً في حركتها أو نظام سيرها .

ومن هنا يتبني العقل السليم بعد التأمل في هذه الدلائل إلى الإيمان بتلك الحقيقة التي تضمنتها الآية في ختامها: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ .

تستطيع وسائل الاتصال أن تعرض العقيدة الإسلامية وترد أبلغ رد على مزاعم الفلاسفة الذين جادلوا في شأن الألوهية بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير، إذ زعموا أن الله سبحانة وتعالى خلق هذا الكون ثم أهمله وتركه سدى، إذ لا يليق بكماله وعظمته أن يدبر شيئاً من أحوال هذا الكون المتسم بالنقص الصائر إلى الفناء، لكن القرآن الكريم قد نقض مزاعم هؤلاء المفترين وبين أن الله سبحانه وتعالى لم يترك هذا الكون بعد أن خلقه بل إن من شواهد القدرة الإلهية التي لا يعجزها إنفراده سبحانه وتعالى بالخلق والأمر، فكل ظواهر هذا الكون ومقاديره صادرة عن إرادته سبحانه وتدبيره لأن الخلق إيجاد من العدم، والأمر هو التدبير والتسخير وبهذا لا يكون لأي من هذه المخلوقات صغيرها وكبيرها وعاقلها وجاهلها إلا أدخل في الخلق والأمر، ولهذا يقطع العقل بعد هذا التأمل والنظر بأن الله وحده هو المستحق للعبادة وهو المنعم على عباده بالخلق والأمر والتدبير، تبارك الله رب العالمين[1].

(١) مصطفي عبد الواحد، الإيمان في القرآن، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٧٨م، ص١٤ – ٦.

إذن الله هو الخالق المدبر لأمر الكون كله، وعلى هذا الأساس لابد أن تضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بهذا الضابط ولا تنسب لفظ الخالق إلى أحد غير الله وحده الخالق قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[1].

لا يشاركه في الخلق غيره، أما ما جاء في القرآن من الأخبار عن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله عليه السلام، أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾[2].

وقولة تعالي: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[3] فالمراد بالخلق في الآيتين السابقتين التصوير والتقدير أي صنع تماثيل على هيئة الطير من الطين بإذن الله، فإذا نفخ فيها عيسى كانت طيراً بإذن الله أي بقدرته سبحانه، ولتكون آية نبوة عيسي ومعجزة دالة على صدقه، فلم يكن عيسي ابن مريم في الحقيقة خالقاً لهذا الطير وإنما كان مصوراً لهيئته فقط، أما الخلق بمعنى الإيجاد من العدم ونفخ الحياة في المخلوقات فهو من أمر الله[4].

إن الله سبحانه وتعالى خلق الكون ودبر أمره وهذا جانب مهم ينبغي على وسائل الاتصال عرضه وضبطه بالأطر العقيدية الدالة على هذا التدبير، وقد جاء تدبير الله للكون في كثير من الآيات نذكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ (٣)﴾[5]، وقولة تعالى: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ(٣١)﴾[6]. وفي سورة الرعد قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)﴾[7].

---

(١) سورة الحشر الأية ٢٤
(٢) سورة المائدة الأية ١١٠
(٣) سورة ال عمران الأية ٤٩
(٤) مصطفي عبد الواحد ، الايمان في القران ، مرجع سابق ص ٢٨
(٥) سورة يونس الأية ٣
(٦) سورة يونس الأية ٣١
(٧) سورة الرعد الأية ٢

وقد كانت دعوة لكل الرسل لهذه العقيدة لا إله إلا الله، وهي عقيدة التوحيد ومعني التوحيد أن يعلم الإنسان أنه لا إله إلا الله وأن يفرده تعالى بالعبادة والاستعانة؛ فلا يشرك معه شيئاً وهذا معنى ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)**﴾[1]. التي يرددها الإنسان المسلم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة كلما قرأ الفاتحة في الصلاة [2].

وقد خاطب الله رسوله بهذه الحقيقة ومن ثم أمره أن يعلنها على الملأ وهو المطلوب من وسائل الاتصال أن تعلن هذه الحقيقة آخذة القدوة والأسوة من رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، لا سيما وأن وسائل الاتصال تطورت تطوراً ملحوظاً مما يجعلها قادرة على ترسيخ مفهوم لا إله إلا الله وإعلانها على ملايين البشر بواسطة هذه الوسائل .

قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)**﴾ [3].

هذه العقيدة التي عمادها لا اله إلا الله جاءت أدلتها من القرآن في آيات عديدة .

وقد تناول الإمام الرازي في تفسيره الكبير ثمانية من الأدلة على هذه العقيدة نوردها هنا، قال أعلم أن الله سبحانة وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية من الأدلة التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولاً وعلى توحيده وبراءته من الأضداد والأنداد ثانياً، وأخذ يعدد هذه الأدلة دليلاً يتلو الدليل وذلك في قولة تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ**

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٥

(٢) د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، الدار البيضاء، دار المعرفة، ص ١٠ – ١١

(٣) سورة الأنعام الآيات ١٦١–١٦٤

صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)﴾ [١].

والأدلة الضمانية هي :

١- الاستدلال بأحوال السموات.

٢- الاستدلال بأحوال الأرض.

٣- الاستدلال باختلاف الليل والنهار.

٤- الاستدلال بالفلك التي تجري في البحر.

٥- الاستدلال بإنزال الماء.

٦- الاستدلال بخلق الدواب وبثها في الأرض.

٧- الاستدلال بالسحاب المسخر بين السماء والأرض.

٨- الاستدلال بتصريف الرياح.

وختم الرازي هذه الأدلة بقوله: أما قوله تعالى (لقوم يعقلون) لأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال به على ما يلزمهم من توحيد ربهم وعدله وحكمه فيقوموا بشكره وما يلزم من عبادته وطاعته [٢].

ومن أهم القضايا التي عني بها القرآن قضية التوحيد وهي قضية العقيدة الأولى، وكذلك قضية خلق الله للكون وتدبيره لأحواله وهي قضية عقيدية لابد لوسائل الاتصال وهي نقطة الخلاف الأولى بين دعوة الإسلام وأوهام الجاهلية، قال تعالى: **﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦)﴾** [٣].

وعلى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية توضيح أن القرآن أقام الدليل الناصع على فساد عقيدة الشرك ونادي البشر جميعا لبعبدوا إلهاً واحداً في

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٦٣ – ١٦٤

(٢) عبد العال سالم مكرم، أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ، ص٣١ – ٣٢

(٣) سورة ص الآيات ٤–٦

ذاته وصفاته لا ند له ولا شريك ولا صاحبة ولا ولد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (٤)﴾[١].

وفي هذا الإطار تقدم وسائل الاتصال الأدلة العقلية والكونية على وحدانية الله سبحانة وتعالى منها قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢)﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ(٢٢)﴾[٣].

وقولة تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾[٤].

فقد بينت آية الإسراء أنه لو كان مع الله إله آخر لوقع التنازع والصراع وبنيت آيه الأنبياء أنه لو كان هناك آلهة غير الله لفسدت السموات والأرض، ومن ثم أوضحت آية المؤمنون أن الله سبحانة وتعالى لم يتخذ ولداً وأنه ليس معه إله ولو كان معه آلهة فحينئذ فالأقوى هو الإله والآخرون ليسوا آلهة، وهكذا نرى السور الثلاث قد تكاملت في إيضاح الدليل وتأكيد نفي الشرك عن الله سبحانة وتعالى بحكم العقل إلى جوانب شواهد الكون، ونلاحظ أن آية سورة المؤمنون أقامت الدليل على نفي الشرك عن الله عز وجل قد سبقت بدليل كوني على تلك الحقيقة يعد تمهيداً للحجة العقلية، قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠)﴾[٥].

---

(١) سورة الإخلاص الآيات ١-٤
(٢) سورة الإسراء الآية ٤٢
(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٢
(٤) سورة المؤمنون الآيات ٩١-٩٢
(٥) سورة المؤمنون الآيات ٨٤ - ٩٠

وبعدها تأتي الآية التي تنفي عن الله سبحانة الولد والشريك وتبين ما ينشأ من افتراض وجود الشركاء من فساد ينفيه نظام الكون المحكم ووحدة الخلق في السنن والتكوين، وهذا يبين أن القرآن قد سلك مسلك النظر الكوني وسلك الدليل العقلي في إثبات التوحيد ونفي الشركاء، كما نلاحظ أن هذه الآيات من سورة المؤمنون قد جاءت بأسلوب التشويق الذي نجده في القرآن في المواطن التي تحتاج إلى إيقاظ المشاعر الهامدة وتحريك القلوب الجامدة، وقد أحاطت هذه الآيات بالمعاندين من كل جانب بإثارة هذه الأسئلة المفاجئة التي تستخرج الجواب أسرع ما يكون (لمن الأرض ومن فيها) (من رب السموات السبع)، (من بيده ملكوت كل شيء)، والجواب في كل موضع (الله)، أي ذلك خالص لله سبحانه لا ينازعة فيه أحد، إذن (فأنى تسحرون) أي كيف تصرفون عن هذه الحقائق وتتجاهلون دلالة الكون، وهو يناديكم بأوضح منطق ؟، منطق المشاهدة والعيان وأمام هذا الدليل العقلي الذي أقامة القرآن على نفي الشركاء وإثبات الوحدانية لله سبحانة لم يبق للمشركين المعاندين من حجة، وقد طالبهم القرآن أن يظهروا ما لديهم من برهان على ما ادعوا من دون الله من أنداد فلم يجدوا ما يقولون إلا الزور والبهتان، قال تبارك وتعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤)﴾** [1].

فهاهم المشركون في صورتهم الحقيقية لا يملكون دليلاً من شواهد الكون على ما يزعمون (أروني ماذا خلقوا من الأرض)، ويكتفي السياق هنا بالأرض، ولا يطالبهم برؤية ما خلقت أصناهم في السماء، فحسبهم إن استطاعوا أن يدلونا على أثر معبوداتهم الباطلة في الأرض وحدها أو في جزء صغير منها، وأن يدلونا على نصيب معبوداتهم من السماء لكنهم لا يقدرون على هذا ولا ذاك؛ ثم تطالبهم الآيات بالدليل العقلي إن كان لديهم دليل (ائتوني بكتاب من قبل هذا إن كنتم صادقين)، وأي علم يثبت لهم أن لله

(١) سورة الأحقاف الآية ٤

شركاء فيما خلق ؟ وأي كتاب يقرهم على مسلك الجهالة والجحود ؟. وإذن فليس للشرك من حجة ولا برهان وإنما هي أوهام متسلطة، وقع هؤلاء الأشقياء صرعى بها، فأصبحوا نجساً إذ فارقتهم طهارة القلب وغابت عنهم بديهة العقل وسلامة الوجدان، ولهذا استحقوا أن يوصفوا بهذا الوصف[1] في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)**﴾[2].

ووسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لابد أن تنضبط بالمنهج الرباني، وهو المنهج الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ؛ ليبلغه للناس أجمعين؛ وليبينه لهم؛ ولتختم به الرسالات السماوية، وهو عند الله وحدة، وهو إما وحي تنزل على الرسول ﷺ بالمعنى والنص، أو إلهام من عند الله سبحانه وتعالى لرسوله ونبيه بالمعنى، ويصوغ الرسول ﷺ هذا المعنى بأسلوبه النبوي، وبذلك يكون المنهاج الرباني هو القرآن الكريم وما صح من حديث الرسول ﷺ، وهذا المنهاج على هذه الصفة يتميز على كل ما يمكن أن يصفه البشر من مناهج وصفية بصفات؛ لتبرز علويته وربانيته، وأهم هذه الصفات ما يلي :

١- أنه الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ(١)**﴾[3]، ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (١٩)**﴾[4]. عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: ثمة أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه[5].

---

(١) مصطفي عبد الواحد، الإيمان في القرآن، مرجع سابق ص ٣٩ – ٤٢

(٢) سورة التوبة الآية ٢٨

(٣) سورة الرعد الآية ١

(٤) سورة الرعد الآية ١٩

(٥) مالك بن أنس، موطأ مالك، مصر، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ج٢، ص ٢٩٩

٢- إنه تام كامل، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ (١).

٣- إنه مفصل بين : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ (٢)، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ (٣).

٤- وهو للناس كافة : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ (٤).

٥- وهو هدي ورحمة وبشرى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ (٥).

٦- وهو شفاء ونور: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً (٨٢)﴾ (٦)، ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)﴾ (٧).

٧- لهذه الصفات المتقدمة وغيرها كان معجزاً، فقد تحدى الله سبحانة وتعالى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، وتحدى الكافرين على أن يأتوا بعشر سور أو يأتوا بسورة: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (٨٨)﴾ (٨).

---

(١) سورة النحل الأية ٨٩
(٢) سورة سبا الأية ٢٨
(٣) سورة النحل الأية ٨٩
(٤) سورة سبا الأية ٢٨
(٥) سورة النحل الأية ٨٩
(٦) سورة الاسراء الأيه ٨٢
(٧) سورة التغابن الأية ٨
(٨) سورة الاسراء الأية ٨٨

٨- وهذا الحق نزل على محمد ﷺ ليبلغه للناس عامة ويبينه: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ (١).

٩- وقد تعهد الله بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(٩)﴾ (٢)

١٠- المنهاج الرباني جاء ميسوراً سهلاً ليناً على القلوب المؤمنة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)﴾ (٣).

على وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقدم مادتها المقروءة والمشاهدة والمسموعة وفقاً لهذا المنهاج الرباني المستوفى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (٤).

وهذا المنهاج الرباني إذا التزمت به وسائل الاتصال فإنه يلبي حاجة العالم فضلاً عن حاجة جماهير الدولة المسلمة، ذلك لأن العالم الآن في حاجة لملء الفراغ في نفوس البشر، ذلك الفراغ الذي أوجدته النزعات المادية كما يسد أيضاً الاحتياجات العاطفية، الذي يدفع إلى الأمراض النفسية المستعصية وغيرها من أمراض الشذوذ التي تؤدي إلى الانتحار بصورة فردية أو جماعية في كل مجتمع من هذه المجتمعات، وتكون الفرصة سانحة أمام وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقدم المبادئ الإسلامية وعقيدة الإسلام السمحاء التي من شأنها أن تنشر الأمن والاستقرار النفسي الداخلي بين البشر وبين المجتمعات، ولهذا تسعد البشرية كلها في الدنيا والآخرة (٥).

إن حاجة الإنسان إلى الإيمان بوجود الله حاجة أساسية سواء من الناحية العقلية والفطرية أو الناحية العاطفية، الإنسان منذ أن وجد على سطح البسيطة هو يسأل كيف وجد ؟ من أين جاء ؟ وإلى أين يذهب ؟ هذه الأسئلة ذاتية تنبعث على لسانه وتتحرك في ذهنة حالما بدأ يدرك وجوده ويحس بالكائنات حوله، الأمر الذي يجعل الإيمان حياً في النفوس متفاعلاً معها،

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤

(٢) سورة الحجر الآية ٩

(٣) سورة القمر الآية ١٧

(٤) عدنان النحوي، دور المنهاج الرباني في الدعوة الاسلامية، ط١، القاهرة، مكتبة الاعتصام، ١٩٧٩م، ص٢١-٢٤

(٥) عبد الوهاب كحيل، الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص٦٧

وإذا قارن الإنسان نفسه مع سائر المخلوقات الكونية لأدرك أنه مخلوق صغير بالنسبة للكون ولمظاهر الطبيعة والسنن المستمرة، وهذا يشعره بضعفه فيلجأ إلى الإيمان بالله ليستمد منه القوة في الحياة والعون في التعامل مع السنن الكونية[1].

إن العقيدة الإسلامية عندما ينضبط بها الأداء في وسائل الاتصال يتعلم الناس أن سكينة النفس لا تكون إلا بالعقيدة الإسلامية وأن هذه السكينة هي الينبوع الأول للسعادة ولكن كيف السبيل إليها إذا كانت شيئاً لا يثمره الذكاء ولا العلم ولا الصحة ولا القوة ولا المال ولا الغني ولا الشهرة ولا الجاه ولا غير ذلك من نعم الحياة المادية .

إن للسكينة مصدراً واحداً ليس هنالك مصدر سواه ألا وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمان الصادق العميق، الذي لا يكدره ولا يفسده نفاق وهذا ما يشهد به الواقع الماثل وما أيده التاريخ الحافل وما يلمسه كل إنسان بصير منصف في نفسه وفي حوله، لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس ضيقاً في الخلق واضطراباً وشعوراً يفقدان الذات والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين .

إن السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان وشجرة التوحيد الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها [2].

تستطيع وسائل الاتصال أن تعرف المجتمع بوحدانية الله تعالى وتقيم الأدلة على ذلك ليتبصر بها أفراد المجتمع ومن هذه الأدلة ما يلي :

١- إن الإنسان لم يخلق نفسه ولم يخلق أولاده ولم يخلق الأرض التي يدرج فوقه ولا السماء التي يعش تحتها، والبشر الذي أدعوا الألوهية لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك فمن المقطوع به أن وظيفة الخلق والإبراز من العدم لم ينحلها لنفسه إنسان، ولا حيوان ولا جماد، ومن المقطوع به كذلك أن شيئاً لم يحدث من تلقاء نفسه ولم يبق إلا الله وقد قرر القرآن الكريم هذا الدليل: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ**

(١) نادية شريف العربي، أضواء على الثقافة الإسلامية، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م، ص٦٤٧

(٢) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ط٩، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠م، ص٦٠-٦١

الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ (٣٦)﴾ [١]. ويلفت أنظار العرب إلى مظاهر الإبداع في المجتمع البسيط الذي يعيشون فيه: **﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾** [٢]. ويسمي هذا الدليل دليل الإبداع .

٢- لو دخل امرؤ داراً فوجد بها غرفة مهيأة للطعام وأخرى للنوم وأخرى للنظافة وأخرى للضيافة ... إلخ لجزم بأن هذا الترتيب وهذا الإعداد النافع لابد قد ينشأ عن تقدير وحكمة وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل، والناظر إلى الكون وآفاقه والمادة وخصائصها يعرف كيف أنها محكمة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان، والطب وأفاد منها الناس أجمل الفوائد، وما وصل إليه علم الإنسان من أسرار العالم حاسم في إبعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق، كلا إن النظام الدقيق في طوايا الذرة مطرد فيما بين أفلاك السماء الرحبة من بعاد: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً (٦٢)﴾** [٣]. وقال تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)﴾** [٤]. وفي القرآن الكريم آيات شتي تقر هذا الدليل ويسمي دليل العناية .

٣- هل فكرت في هذه السيارات المنطلقة أي هذه الكواكب التي تخترق أعماق الجو والتي تلزم مداراً لا تنحرف عنه يميناً ولا يساراً وتلزم شرهة واحدة لا تبطئ فيها ولا تعجل، إن الكرة تنطلق من أقدام اللاعبين ثم لا تلبث أن تهوى بعد تحليق، أما هذه الكرات الغليظة الحجم الحي منها والميت المضيء منها والمعتم فهي معلقة ولا تسقط سائرة لا تقف .. كل في

---

(١) سورة الطور الآيات ٣٥ - ٣٦
(٢) سورة الغاشية الآيات ١٩-٢٠
(٣) سورة الفرقان الآيات ٦١ - ٦٢
(٤) سورة الجاثية الآيات ١٢-١٣

دائرته ولا يعدوها، وقد يصطدم المشاة على أرضنا وهم أصحاب بصر وعقل أما هذه الكواكب التي تزحم الفضاء فإنها لا تزغ ولا تصطدم قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾[1].

من الذي هيمن على نظامها وأشرف على مدارها؟ بل من الذي أمسك بأجرامها الهائلة ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة؟ إنها لا ترتكز في علومها إلا على دعائم القدرة الأعلى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً(٤١)﴾ [2]. ويسمي هذا الدليل دليل الحركة .

٤- لا شك أن لوجود كل واحد منا بداية معرفة فنحن قبل ميلادنا أم نكن شيئاً يذكر: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (١)﴾ [3]. الإنسان وعناصر الكون الذي يعيش فيه كذلك لها بداية معروفة، وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها أعماراً محدودة مهما طالت فقد كانت قبلها صفراً، وكان هناك ظن بأن المادة لا تفني اعتمد عليه فريق من الناس في القول بقدم العالم وما يتبع هذا القول الموهوم من أباطيل إلا أن تفجير الذرة هدم هذا الظن، ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا هذا الظن أنه حقيقة ثابتة، فإن المفتاح الذي يفتح على العالم أبواب الفناء ليس من الضروري أن يضعه الله في أيدي العلماء، وعدم اعتداء الناس إلى ما يدمر مادة الكون لا يعني أن مادة الكون غير قابلة للدمار والفناء، إننا جازمون أن وجودنا محدث لأن تفكيرنا وإحساسنا يهدينا لذلك وغير معقول أن يتطور العالم إلى وجود ذاتي، إنه إذا وقعت حادثة ولم يدر فاعلها، قيل ان الفاعل مجهول، ولم يقل أحد قط أنه ليس لها

(١) سورة يس الآيات ٣٨ – ٤٠
(٢) سورة فاطر الآية ٤١
(٣) سورة الانسان الآية ١

فاعل، فكيف يراد من العلماء أن يقطعوا الصلة بين العالم وربه أننا لم نكن شيئاً فكنا كم كوننا ؟ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾ [(١)].
ويسمي هذا دليل الحدوث[(٢)].

بمثل هذا العرض للعقيدة الإسلامية والانضباط بها، وتستطيع وسائل الاتصال أن تربط الجمهور في الدولة الإسلامية بخالقه وتصنع منه جمهوراً موحداً صحيح العقيدة وتحرره من عبادة العباد والنظريات إلى عبادة الله وحدة وهي حقيقة هدف لها رجال الاتصال منذ نزول القرآن وفجر الإسلام حينما كانوا يوفدون إلى مقابلة عظماء الفرس والروم، وهم يقومون بمهمة الاتصال فكانوا يسألونهم عن هدفهم الذي أخرجهم من ديارهم، فيقولون الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العبادة إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، وأهم ما تحرص عليه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن توضح إن الإسلام جاء لتحرير قلب العبد من تلك العبودية فالقلب هو الركن الأصيل الذي يقود الجسد كله ويسيره ويوجهه، وبصلاح القلب يصلح الإنسان وفي ذلك يقول الرسول ﷺ (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [(٣)].

والقلب محل الاعتقاد وموضع الإرادة والنية وبصلاح الاعتقاد والعقيدة يصلح القلب وبصلاحة يصلح الإنسان، ولابد لوسائل الاتصال أن تعرف العبد بربه وصفاته وأسمائه، وأفعاله وتعرفه بملائكة الرحمن وعلى اليوم الآخر وما أعده الله فيه بقصد إطاعتة وعصاه، وصلاح القصد بأنه يتوجه المرء نحو خالقه بأعماله كلها فلا يقصد بعمله ملكاً ولا شجراً ولا حجراً، ولا بشراً

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩١
(٢) محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ط٤، دمشق، دار القلم، ١٩٨٣م، ص٣-١٦
(٣) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج١، مرجع سابق، ص٢٨

وهذا هو الإخلاص في العبادة الذي لا يقبل من أحد دنياه سواه: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾ [١]، ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾ [٢]، ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾ [٣].

وعلى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقدم كل المواد من خلال هذه النظرة نظرة أن الإيمان بالله هدفه تحرير الإنسان من كل عبودية غير العبودية لله وحده [٤].

وفي إطار تحرير الإنسان من العبودية لغير الله يقع على عاتق وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن توضح للجماهير أولى خصائص الألوهية وهي حق تعبيد الناس وتطويعهم للشرائع والأوامر، حق أقامتة النظم والأوضاع والمناهج والشرائع والقيم والموازين وحمل الناس على اتباعها، وهذا الحق لجميع الأنظمة الأرضية يدعيه بعض الناس في صورة من الصور ويرجع الأمر فيه إلى مجموعة من الناس على وضع من الأوضاع وهذه المجموعة تخضع الآخرين لأنظمتها وأوضاعها ومناهجها وشرائعها وقيمها وموازينها، هي الأرباب الأرضية التي يتخذها الناس في جمع أنظمة الأرض أرباباً من دون الله ويسمحون لها بادعاء خصائص الألوهية والربوبية عن طريق السماح لها بادعاء الحاكمية ومزاولتها ومزاولة ابتداع الأنظمة والأوضاع والمناهج والشرائع والقيم والموازين، كما يسمحون لها برفض ألوهية الله سبحانة وتعالى وربوبيته في الأرض، ذلك عن طريق السماح لها بتنحية شريعة الله عن الهيمنة وحدها على حياة الناس كلها، وهم بذلك يعبدون هذه الآلهة والأرباب من دون الله وإن لم يركعوا لها ويسجدوا ويسلموا لها بأن ترفض ألوهية الله

---

(١) سورة الزمر الآية ٣

(٢) سورة غافر الآية ٦٥

(٣) سورة الزمر الآية ٣

(٤) عمر سليمان الأشقر، أثر الإيمان في تحرير الإنسان، ط٢، عمان، دار النفائس، ١٩٩١م، ص١٦-١٧

سبحانة وربوبيته لا يقوم الا حين تقر النفس ربوبيته في السماء وفي الأرض في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، في ضمائر الناس وشعائرهم وفي حياتهم وواقعهم سواء، بحيث لا تخرج جزئية واحدة من جزئيات الحياة البرشية في الدنيا ولا في الآخرة عن سلطانه إلى سلطان سواه وهذا مدلول قوله [1] سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨)﴾ [2].

وبهذا الفهم تكون وسائل الاتصال المنضبطة بالعقيدة الإسلامية قد أدت دورها الحقيقي في ربط العباد بخالقهم ويتم تحريرهم حتى يسلموا القيادة لله سبحانة وتعالى ما تقدم من مقومات العقيدة الإسلامية لابد أن تصحبها وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية وتضبط بها الأداء في وسائل الاتصال، وسوف تكون ثمرة أداء وسائل الاتصال واضحة في المجتمع ذلك لأن الدولة الإسلامية دولة تقيم بناءها كله السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتربوي وفق العقيدة الإسلامية، ولهذا الانضباط ستكون هناك ثمرات في كافة مجالات الحياة في الدولة الإسلامية، من ثمارها أن العقيدة الإسلامية التي تجعل الإنسان يعيش الأمن النفسي حتى تحقق له السعادة والسكينة ويجعل المؤمن آمنا على رزقه فإن الأرزاق في ضمان الله الذي لا يخلف وعده ولا يضيع عنده، وقد خلق الأرض مهاداً وفراشاً وبساطاً وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وجعل فيها معايش، وعد عبادة بكفالة الأرزاق وعداً كرره وأكده وأقسم عليه، وعد كريم لا يبخل، قدير لا يعجز، حكيم لا يعبث: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً (٩٨) [3]، ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ [4]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(٦)﴾ [5].

---

(١) سيد قطب، مقومات التصوير الإسلامي، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٦م، ص١٨-١٩
(٢) سورة الزخرف الآية ٨٤
(٣) سورة الكهف الآية ٩٨
(٤) سورة الروم الآية ٦
(٥) سورة هود الآية ٦

بهذه الضمانات يعيش المؤمن حياته آمنا على رزقه، مطمئناً إلى أن الله لن يهلكه جوعاً وهو الذي يطعم الطير في الوكنات والسباع في الفلوات والأسماك في البحار والديدان في الصخور.

وقد كان المؤمن يهب إلى ميدان الجهاد حاملاً رأسه على كتفه متمنياً الموت في سبيل الله وفي سبيل عقيدته ومن خلقه ذريته ضعاف وفراخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر، ولكنه كان يوقن أنه يتركهم في رعاية كريم وهو أبر بهم وأحن عليهم منه.

وتقول الزوجة عن زوجها وهو ذاهب في سبيل الله: (إني عرفته أكالاً وما عرفته رزاقاً، ولئن ذهب الأكال فقد بقي الرزاق) [1].

والعقيدة الإسلامية سوف تقود إلى التغيير الاجتماعي وإلى الصلاح إذ أن إصلاح الجماعات والشعوب لا يجئ جزافاً ولا يتحقق عفواً إن الأمم لا تنهض من كبوة ولا تقوي من ضعف ولا ترتقي من هبوط إلا بعد تربية أصيلة حقة وإن شئت فقل بعد تغيير نفسي عميق الجذور، يحول الهمود فيها إلى حركة والغفوة إلى صحوة والركود إلى يقظة والفتور إلى عزيمة والعقم إلى إنتاج والموت إلى حياة، تغيير في علم النفس أشبه ما يكون بثورة أو إنقلاب في عالم المادة، يحول الوجهة والأخلاق والميول والعادات تغيير نفسي لابد أن يصاحب كل حركة أو نهضة وثورة سياسية أو اجتماعية ومن غيرة تكون النهضة أو الثورة حبراً على ورق أو كلاهما أجوف تبدد في الهواء.

وهي سنة قائمة من سنن الله تعالى في الكون قررها القرآن في عبارة وجيزة بليغة: **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)﴾** [2]. ولكن هذا التغيير المنضبط بالضوابط والأطر العقيدية أمر ليس بالهين أو اليسير أنه عبء ثقيل تنوء به الكواهل والإنسان مخلوق مركب معقد، ومن أصعب الصعب تغيير نفسه أو قلبه أو فكرة. إن صنع هذا الإنسان أمر عسير غير يسير ولكن الإيمان وحده هو

(١) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص١٥١ - ١٥٢
(٢) سورة الرعد الآية ١١

صانع العجائب لذلك كان لابد لوسائل الاتصال أن تضبط بهذا الإيمان والعقيدة الإسلامية في أدائها مهامها في مجال التغير الإنساني[1]، وحتى يحصل التحول الأول بالعقيدة الإسلامية التي حولت القبائل البدوية إلى أمة ذات حضارة سادت على كل الحضارات في ذلك الزمان في زمن قصير وذلك كله بفضل أن الذين قدموا العقيدة الإسلامية كان يضبطون دعوتهم وحركتهم بأطر العقيدة الإسلامية .

والدولة الإسلامية في العصر الحاضر أحوج ما تكون إلى أن تضبط وسائل اتصالها بالضوابط العقيدية وفي مقابل العقيدة الإسلامية الصحيحة لابد لوسائل الاتصال أن تبين فشل المذاهب والنظريات المادية وإظهار الحلول المناسبة والملائمة للتخلص من الويلات والمشكلات التي خلقتها تلك المذاهب الداعية للإلحاد والعلمانية والرافضة للأديان السماوية وأنها فشلت في كل مكان في العالم، وسوف يلقي هذا الاتجاه قبولاً لدي الجماهير والشعوب المختلفة والتى تعاني من أفكار تلك النظريات خاصة وأن جمهور وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية ليس هو جمهور المسلمين فقط، وإنما هو البشر جميعاً في كل زمان ومكان، ذلك لأن الإسلام رسالة عامة لا يختص بها شعب دون شعب، وإنما هي رسالة إلى البشر بالإجماع ولإسعاد البشرية جميعاً[2]. إن القائمين بالاتصال في الدولة الإسلامية يرفضون نشر أو إذاعة المواد التي تزلزل العقيدة الإسلامية أو تستهين بالعبادات والمعاملات الإسلامية أو التقاليد والأخلاق كما يبرز القائم بالاتصال المواد التي من شأنها أن تزكي هذه المعاني [3]. وتوضح الأهداف التي من أجلها خلق الله الإنسان قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ(٥٦)﴾ [4].

وللعقيدة المعروضة من خلال وسائل الاتصال ثمار كثيرة وتعد العبودية ثمرة من ثمار العقيدة، إن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها، وبها أرسل الله كل الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿لَقَدْ

(١) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص٣٠٦ – ٣٠٨
(٢) عبد الوهاب كحيل، الأسس العلمية للإعلام الإسلامي، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص٨٤ – ٨٥
(٣) محمود كرم سليمان، التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، ط١، المنصورة، دار الوفاء للطباعة، ١٩٨٨م، ص١٠٣
(٤) سورة الذاريات الآية ٥٦

أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)﴾ [١].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب لقومهم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾ [٢]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)﴾ [٣].

وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾ [٤]. وبذلك وصف ملائكته وأنبيائه فقال: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)﴾ [٥].

وقد وصف خلقه بالعبودية فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً (٦٢)﴾ [٦].

وقال في وصف رسوله بالعبودية في أكمل أحواله فقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦)﴾ [٧].

ونعت الله رسوله بالعبودية في أكمل أحواله فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾ [٨].

قال تعالى في الدعوة: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعْ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً (٩)﴾ [٩]. والدين حقيقة كل عبادة بل معاني العبادة التوحيد، أود أن أشير في نهاية هذا المبحث الذي خصصته لمناقشة أهمية تقديم العقيدة الإسلامية من خلال وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية إلى أن انضباط وسائل الاتصال لأن الدولة الإسلامية يجب أن ينضبط الأداء فيها بالعقيدة الإسلامية ولا سيما وسائل الاتصال لأهميتها في نقل الأفكار

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٩
(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٢
(٣) سورة النحل الآية ٣٢
(٤) سورة الحجر الآية ٩٩
(٥) سورة الأنبياء الآية ١٩
(٦) سورة الفرقان الآية ٦٢
(٧) سورة الأنبياء الآية ٢٦
(٨) سورة الإسراء الآية ١
(٩) سورة الجن الآية ٩

الصالحة ومحاربة الأفكار الطالحة وتقف العقيدة على رأس الأفكار الصالحة، والعقيدة الإسلامية هى التي من خلالها تقيس إسلامية الدولة إذ أنها هي المركز الأول والمنطلق الأساسي .

ثانياً: إطار الشريعة :

الشريعة الإسلامية هي المنهج العلمي الذي يطبق في الدولة الإسلامية، وعليه فإن وسائل الاتصال لابد أن تضبط بالأطر الشرعية وأحكام الفقه الإسلامي .

نتعرض هنا لمعان الشرعية الإسلامية وأهميتها وكيف تؤدي وسائل الاتصال وظائفها في إطار هذه الشريعة في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والتربوية والتعليمية والاقتصادية .

وفي البداية يجدر بنا أن نوضح ما هي الشريعة التي نريدها ضابطاً وإطاراً لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية .

الشرع في اللغة العربية مصدر شرع بالتخفيف والتشريع مصدر شرع بالتشديد والشريعة في الأصل اللغوي مورد الماء الذي يقصد للشرب باعتبار أن مورد الماء سبيل الحياة للأبدان، وكذلك الشأن في الطريقة المستقيمة التي تهدي الناس إلى الخير ففيها حياة نفوسهم وري عقولهم قال تعالى: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ(١٨)﴾**[1].

ويقال شرعت الإبل أي وردت شريعة الماء وشرع له في الأمر بمعنى سنه وبين طريقته قال تعالى: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)﴾** [2].

وسميت الشريعة تشبيهاً بشريعة الماء من حيث أن من شرع فيها على الحقيقة المعروفة روي وتطهر، والشريعة في الاصطلاح ما شرعه الله لعباده

---

(١) سورة الجاثية الآية ١٨

(٢) سورة الشوري الآية ١٣

من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات وتنظم الحياة في شعبها المختلفة الذي يشفي علاتها ويحيي نفوسها وترتوي به عقولها ولهذا كانت الغاية من تشريع الله استقامة الإنسان على الجادة لينال عز الدنيا وسعادة الآخرة .

والشريعة بهذا المعنى خاصة بما جاء من الله تعالى وبلغه الرسل للعباد، والله هو الشارع الأول وأحكامه تسمي شرعاً، فلا يجوز إطلاق هذا على القوانين الوضعية لأنها من صنع البشر، وقد جرى عرف كثير من الكتاب على تسمية القوانين الوضعية بالتشريع الوضعي وتسمية الوحي الإلهي بالتشريع السماوي، والحق أن الشرع أو الشريعة لا يجوز إطلاقها إلا على الطريقة الإلهية دون سواها من طرائق وأنظمة [1].

الشريعة الإسلامية هي الاصطلاح الشرعي هي الأحكام التي شرعها الله لعبادة سواء كان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أو السنة وهي قول رسول الله ﷺ أو أفعاله أو تقريره [2].

ومن هنا يمكن القول بأن الشريعة الإسلامية هي كل ما جاء به محمدﷺ من عند الله عز وجل، سواء ما يتعلق بإصلاح العقيدة لتحرير العقل البشري من رق الوثنية والتقليد والخرافات أو ما يتعلق بإصلاح الأخلاق لتحرير الناس من زيغ الأهواء أو ما يتعلق بإصلاح المجتمع لتحرير الأمة من الظلم والفوضى والاستبداد، ومن أجل هذا كله جاءت الشريعة بنظام مدني ينظم علائق الناس بعضهم مع بعض وعلائقهم بالسلطة الحاكمة، ويصون للجميع مصالحهم ويحقق في الأرض عزتهم وسيادتهم [3].

وبهذا المعنى تكون الشريعة الإسلامية صمام أمن للمجتمع وهي الطريق الوحيد لعودة المسلمين إلى القوة والعزة، وبدون تطبيق الشريعة الإسلامية فلا أمل في أن يخرج المسلمين من واقعهم المرير والمؤسف والمذل الذي أوصلهم إلى هذا الدرك من الجهل والضعف والتخلف والرشوة والفساد والتمزق، وهذا

---

(١) مناع القطان، التشريع والفقة في الإسلام، ط٨، بيروت، مؤسسة الحياة، ١٩٨٧م، ص١٥-١٦

(٢) محمد يوسف موسي، الفقه الإسلامي، ص ٧

(٣) عبد الله ناصح علوان، محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصدرها، ط١، القاهرة، دار السلام، ١٩٨٤م، ص٩

مما جعل أهمية خاصة لضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بالضوابط الشرعية[1].

والتشريع الذي ينبغي أن نضبط به وسائل الاتصال تشريع شامل، لا يشرع للفرد دون الأسرة ولا للأسرة دون المجتمع ولا للمجتمع منفرداً عن غيره من المجتمعات، إن تشريع الإسلام يشمل التشريع للفرد في تعبده وصلته بربه، وهو أمر مشروح ومفسر في فقه العبادات الأمر الذي لا نجد له نظيراً في القوانين الوضعية .

ويشمل التشريع للفرد في سلوكه الخاص والعام وهذا يشمل (الحلال والحرام) أو الحظر والباحة ويشمل التشريع ما يتعلق بأحوال الأسرة من زواج وطلاق ونفقة ورضاعة وميراث وولاية على النفس والمال ونحوها، وهذا يشمل ما يسمي في عصرنا بالأحوال الشخصية، ويشمل التشريع للمجتمع في علاقاته المدنية والتجارية وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع، بعوض أو غير عوض من البيوع والإجارات والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفاية والضمان، وغيرها مما تضمنته في عصرنا القوانين المدنية والتجارية، وشمل التشريع ما يتصل بالجرائم وعقوبتها المقدرة شرعاً كالحدود والقصاص والمتروكة لتقدير أهل الشأن كالتعازير، وهذا يشمل ما يسمي بالتشريع الجنائي أو الجزائي، وقوانين العقوبات ويشمل التشريع الإسلامي وما يتعلق بواجب الحكومة نحو الحكام وتنظيم الصلة بين الطرفين ما عنيت به السياسة الشعرية والخراج والأحكام السلطانية في الفقه وتضمنه في عصرنا الحاضر للتشريع الدستوري أو الإداري أو المالي ويشمل التشريع الإسلامي ما ينظمه عصرنا القانون الدولي .

ومن هنا لا توجد ناحية من نواحي الحياة إلا وبرز التشريع الإسلامي آمراً وناهياً مما يتيح الفرصة لوسائل الاتصال أن تجد مادة لضبط الأداء الاتصالي في الدولة الإسلامية، وحسبنا أن أطول آية نزلت في كتاب الله تعالى نزلت في تنظيم شأن من الشئون المدنية، وكتاب الدين يبدو شمول التشريع الإسلامي

(١) محمد الشويعر، تطبيق الشريعة طريق الأمن والعزة، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٧م، ص٦

في النفاذ إلى إعمال المشكلات المختلفة، وما يؤثر فيها وما يتأثر بها والنظر إليها نظرة محيطة مبنيه على معرفة النفس الإنسانية، وحقيقة دوافعها وتطلعاتها وأشواقها ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتها وتقلباتها، وربط التشريع بالقيم الدينية والأخلاقية بحيث يكون التشريع في خدمتها وحمايتها لا يكون بأي حال من الأحوال معولاً لهدمها .

ومن عرف هذا جيدا استطاع أن يفهم موقف التشريع الإسلامي وروعته من قضايا كثيرة، كالطلاق والربا والحدود والقصاص وغيرها، وقد أثبتت الدراسات فضل الإسلام في هذه النواحي وأنه متفوق على كل تشريع سابق ولاحق، إن عيب البشر الذي هو من لوازم ذواتهم المحدودة أنهم ينظرون إلى الأمور والأشياء من جانب واحد غافلين عن جانب أو أكثر من جوانبها الأخرى، والحقيقة أنهم لا ذنب لهم في القصور ولا حيلة لأن النظرة المحيطة الشاملة التي تستوعب الشيء من كل جوانبه وتعرف كل احتياجاته وتدرك احتمالاته وتوقعاته لا يقدر عليها إلا رب البشر وخالق الكون[1] **﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾** [2].

من الطرح المتقدم يتضح لنا أن التشريع الإسلامي وهو ما يعبر عنه باسم الشريعة الإسلامية هو تشريع يغطي جميع أنشطة الحياة حيث نجده ينقسم إلى أنظمة كالنظام الاجتماعي والنظام السياسي والنظام التعليمي والثقافي والنظام الاقتصادي تمثل هذه النظم في مجموعها الإسلام وأنظمة المجتمع، ومن هنا تتاح الفرصة واسعة أمام أجهزة ووسائل الاتصال الجماهيري لكي تخدم كافة أهداف وأغراض الدولة الإسلامية منضبطة بهذا التشريع الإسلامي ومقيدة بالشريعة الإسلامية .

ولابد لوسائل الاتصال الجماهير أن تحقق من خلال أدائها أهداف الشريعة الإسلامية ذلك أن الشريعة الإسلامية تستهدف تحقيق مجموعة من الأهداف التي تحقق مجتمعاً فاضلاً، غير منفرطة في المثالية التي لا يمكن تحقيقها كما حدث في النظريات الوضعية الزائفة ولكنها تجمع بين السمو

(١) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، الدار البيضاء، دار المعرفة، بدون تاريخ، ص١٢١ – ١٢٣
(٢) سورة الملك الآية ١٤

الروحي والإشباع الإنساني في غير ما تطرف، ونوجز فيما يلي أهم أهداف الشريعة الإسلامية التي ينبغي أن تنضبط بها وسائل الإتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية:

أولاً: تهذيب الإنسان بالعبادات لفضلها في شفاء النفوس والتخلص من وسوسة الشيطان يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٩٠)**﴾ [١].

وقد جعل الله تعالى بقية العبادات من صوم وذكاه وحج تطهيراً للنفس والمال وتقرباً إلى الله لنيل رضاه سبحانه .

ثانياً: إقامة العدل في الجماعة إذ ينشد الإسلام تحقيق المجتمع الصالح الذي تسوده علاقات التعاون والتكامل والحب، وهذا لن يتحقق إلا إذا شعر الجميع بالعدل واختفي من بينهم الشعور بالظلم أو الاستغلال يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٩٠)**﴾ [٢]، ويقول أيضاً: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩)**﴾ [٣]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في كمهم وأهليهم وما ولوا) [٤].

ثالثاً: المصلحة: جميع أحكام الشريعة الإسلامية تستهدف تحقيق المصلحة وقد حددها الفقهاء وأطلقوا عليها مقاصد الشريعة (أ) حفظ الدين (ب) حفظ العقل (ج) حفظ العرض (د) حفظ النفس (هـ) حفظ المال .

جميع الشرائع السماوية لم تختلف على هذه الأهداف الخمسة وقد رتبت الشريعة الإسلامية هذه المقاصد الخمسة حسب الأهمية .

وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لابد أن تحقق هذه الأهداف وتضبط بما يحققها فلا تعرض أو تنشر مثلاً ما يتعرض مع حفظ الدين كهدف هام

---

(١) سورة النحل الآية ٩٠
(٢) سورة النحل الآية ٩٠
(٣) سورة الحجرات الآية ٩
(٤) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص١٤٥٨

من أهداف الشريعة الإسلامية بل تعمل على نشر الدين وتعميق منهجه وسط المسلمين وتدعو غير المسلمين للدخول فيه، وتبتعد عن كل ما يقلل من العقل أو يؤدي إلى فقدانه لأن العقل هو مناط التكليف في الإسلام، وهكذا سائر مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة لابد أن تعمل وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية على تحقيق هذه المصالح التى عن طريقها يصلح المجتمع[1].

لقد جاءت الشريعة الإسلامية في مجال المجتمع بنظام اجتماعي متوازن يؤثر التكافل بين الفرد والجماعة ولا يحابي الفرد على حساب الجماعة ولا الجماعة على حساب الفرد، وهو نظام وسط قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)**﴾ [2].

والأمة الوسط تحرص على إطلاق جميع الطاقات الفردية والعامة من غير إفراط ولا تفريط لإيجاد التوازن في المجتمع نتيجة لتوزيع التبعات على الجميع بالقسطاط المستقيم مصداقاً لقوله ﷺ: **(كلكم رع وكلكم مسئول عن رعيته)** [3].

وليس في نظام الإسلام الاجتماعي غلو ولا تقصير، فلا يتشدد في دين الله حتى يحطم نشاطه الفردي وميوله ونوازعه، فتحرم الجماعة من أن تنتفع بطاقته الصالحة، والمصر يتجاهل المجتمع مثلما يحطم نفسه أيضاً، ودين الله هو دين الفطرة: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠)**﴾ [4]. لا هو غلو الاجتماعين ولا تقصير الفردين بل تكافل بين الفرد والجماعة يوجب كل منهما تبعات ويلقي عليه مسئوليات[5].

---

(١) نبيل محمد توفيق السمالوطي، المنهاج الإسلامي في دراسة المجتمع، ط٢، دار الشروق، ١٩٨٥م، ص١٦-١٨

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣

(٣) محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، ط٣، بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٧م، ج١، ص٣٠٤

(٤) سورة الروم الآية ٣٠

(٥) صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٦م، ص٤٣٥

تقوم وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بتوضيح أن الإسلام في نظامه الاجتماعي قد قرر العدل والمساواة والتعاون والتواصي بالصبر وقرر في ذلك كله مسئولية الجماعة عن الفرد ومسئولية الفرد عن الجماعة، وقد كان له في ذلك الجانب كثير من العناية والاهتمام **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٩٠)﴾** [١]. **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣)﴾**[٢]، **﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)﴾** [٣]، **﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)﴾** [٤].

وهذه المعاني إذا تمت إشاعتها في وسط المجتمع سوف يكون الناتج مجتمعاً متماسكاً وتكون وسائل الاتصال قد أدت دورها الاجتماعي[٥]. ومن القضايا الاجتماعية التي ينبغي أن تأخذ حظاً وافراً في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية قضية المرأه وأن توضح وسائل الاتصال كيف أن الإسلام رفع من شأن المرأه وأزال عنها المظالم التي لحقت بها في المجتمعات الجاهلية الأولى، فوضع نظاماً عاماً شاملاً يحمي المجتمع من الفوضى والاضطراب والضياع ونورد هنا ما قام به الإسلام تجاه المرأة.

أولاً: قرر الإسلام أن المرأة إنسان وهي شقيقة الرجل ووجودها يساعد على بقاء الفرع الإنساني وتربية الأجيال الصالحة، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **(والله ما كنا نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل لهن ما قسم)** [٦]. وقد قرر القرآن ذلك في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾** [٧].

---

(١) سورة النحل الآية ٩٠
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣
(٣) سورة ال عمران الآية ٢
(٤) سورة ال عمران الآية ٤
(٥) محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ط٧، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص٨٩
(٦) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، ج٢، ص ١١٠٨
(٧) سورة الحجرات الآية ١٣

ثانياً: قرر الإسلام أن على النساء ما على الرجال من الواجبات والفرائض لا فرق بين الذكر والأنثى إلا ما كان من بعض الأحكام الخاصة بها في أيام حيضها أو نفاسها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (٣٥)**﴾ [١].

ثالثاً: قرر الإسلام أن مسئولية المرأة مستقله عن مسئولية الرجل فلا ينفع صلاح الرجل زوجته إذا فسدت، ولا ينفع صلاح المرأة زوجها إذا فسد، فلكل واحد منهما مسئوليته الخاصة عن عمله قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)**﴾ [٢].

ومن أجل هذا سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الجزاء والثواب على الأعمال في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٩٧)**﴾[٣].

رابعاً: إشراك الإسلام المرأة في النشاط الاجتماعي لبناء المجتمع وإقامة الحياة وذلك فيما يناسبها من أعمال بعيدة عن الاختلاط والتبرج.

خامساً: أباح الإسلام للمرأة المسلمة أن تجير الأعداء، فها هي أم هانئ تجير يوم فتح مكه رجلين من أحمائها وتخبر رسول الله ﷺ صنيعها.

سادساً: قرر الإسلام للمرأة حق التعليم وقد ثبت أن الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية كان رسول الله ﷺ يأتيها يقيل عندها وطلب منها

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٥
(٢) سورة التحريم الآيات ١٠-١١
(٣) سورة النحل الآية ٩٧

أن تعلم حفصة بنت عمر أم المؤمنين رقية النمل كما علمتها الكتابة والنمل جروح تخرج من الجنب .

سابعاً: منح الإسلام المرأة حق التملك بخلاف ما كانت عليه في الجاهلية وفي غيرها من الأمم السابقة وجعل لها حق التصرف المستقل في الأشياء التي تملكها وجعل لها حق الولاية على مالها وإبرام العقود متى بلغت سن الرشد.

ثامناً : جعل الإسلام للمرأة حق الميراث قال تعالى: **﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً (٢)﴾** [١].

وجعل صداقها حقاً ليس لأحد أن يشاركها أو يأخذه منها كما كانت العادة في المجتمعات السابقة، قال تعالى: **﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً (٤)﴾** [٢] فلا يحق لأحد من أوليائها أن يأخذ منه شيئاً ولا يهبه لزوجها [٣].

على وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تبرز أن الإسلام دين اجتماعي وهو يسعي لإنشاء المجتمع الصالح سعيه لتكوين الفرد الصالح، بل يرى أن صلاح المجتمع لازم لإصلاح الفرد، ولا يتصور الإسلام الفرد المسلم منعزلاً في خلوى أو راهباً في صومعة، بل يتصوره دائماً في جماعة حتى في عبادته لربه فقد دعا إلى أداء الصلاة في صورة جماعية، ومن هنا نشأت المساجد في الإسلام، وتأكدت أهميتها ولو تخلف مسلم عن الجماعة وصلى وحده، فإن روح الجماعة تظل متمثلة في ضميره، جارية على لسانه حين يناجي ربه قارئاً:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)﴾[٤].

والزكاة والحج كذلك عبادتان اجتماعيتان والقرآن يخاطب المكلفين بصيغة الجماعة (يا أيها الذين آمنوا) ليشعرهم بأنهم متضامنين في تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي وأداء التكاليف في جماعة .

---

(١) سورة النساء الآية ٢

(٢) سورة النساء الآية ٤

(٣) محمد الأمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ط١، الأردن، مكتب الدارن، ١٩٨٣م، ص ٢٧٨ – ٢٨٢

(٤) سورة الفاتحة الآية ٥–٦

والشريعة الإسلامية التي نود لها أن تكون الإطار الذي يضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية نجدها بجانب النظام الاجتماعي تطور ما يسمى بنظام الإسلام السياسي، ووسائل الاتصال في تقديمها للجوانب السياسية لابد أن تضع نصب عينها ما يمكن أن تقدم من نواحي سياسية منضبطة بالشريعة الإسلامية، ومعروف أن الشريعة الإسلامية تشمل النظام السياسي في الإسلام وهي سياسة توجه المسلمين في شئون الحكم. والإسلام سياسة وتدبير لشئون المجتمع الإسلامي، وهو تحديد للأصول العامة التي يجب أن يكون منهاج الأمة الإسلامية قائماً عليها في مجالات العلاقات والروابط التي تشد المؤمنين بعضهم إلى بعض والتي تقيهم سوء أنفسهم واعتداء غيرهم عليهم.

على وسائل الاتصال أن تخدم مفهوم الشرع في نظام الإسلام السياسي وتوضح أن الحكم في نظر الإسلام أمانة في أعناق الحكام من رئيس الدولة إلى حامل أدني رتبة بين العاملين في أجهزة الدولة المختلفة، وكل واحد من هؤلاء مسئول بمقدار حظه من السلطة والنفوذ، وللأمانة في الإسلام مفهوم خاص فوق ما يتصوره الناس ففي التنزيل المجيد **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾** (١).

إن أمانة الحكم أثقل الأمانات كلها لأنها تتعلق بحقوق العباد، ولهذا كان أكبر واجب ملقى على عاتق رئيس الدولة تطبيق أحكام الدين ورعاية مصالح الأمة، وفي أمر إلهي يطالعنا هذا النص القرآني أمراً كل حامل أمانة أنى كان موقعه في الحياة حاكماً كان أو محكوماً، رئيساً أو مرؤوساً: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً (٥٨)﴾** (٢).

وتكشف السنة المطهرة عما في نصوصها من تنبيه المسلمين إلى عظيم أمانة الحكم ومسئولية من يقوم عليها حتى يكونوا على بينة من الأمر فقد

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٧٢
(٢) سورة النساء الآية ٥٨

روي عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(ياعبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير أعنت عليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وائت الذي هو خيراً)** [1] وفي حديث آخر رُوي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: **(قلت يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال فضرب يده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه منها)** [2].

قال النووي: هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، ولا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً لها ولم يعدل فيها يخزيه فيها الله ويفضحه ويندم على ما فرط وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث سبعة يظلهم الله [3].

تقوم وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بتوضيح رسالة الدولة الإسلامية وهي تتمثل في أن الدولة كل ما تتمتع به من حقوق وسلطة، لم تكن إلا لتحقيق غاية وأداء رسالة وليس لها في ذلك بين دول الأرض من نظير ولكي تكون على بينة من مجمل تلك الرسالة يتعين أن نقف عند بعض النصوص: قال تعالى: **﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١)﴾** [4].

وفي السنة المطهرة نقرأ صدر الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن، وقد جاء فيه: **بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ(١)﴾** [5] عهد من محمد النبي رسول الله إلى عمرو بن حزام حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوي الله في أمره كله **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)** [6].

---

(١) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، بيروت، دار إحياء التراث، ج٣، ص١٢٧٣

(٢) المرجع نفسه، ج٣، ص١٤٥٧

(٣) سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ص١٠٥-١٠٩

(٤) سورة الحج الآية ٤١

(٥) سورة المائدة الآية ١

(٦) سورة النحل الآية ١٢٨

وأمره أن يأخذ بالحق أو يبشر بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس أمر دينهم ويفقههم فيه، ويقرئهم القرآن ويعلمهم ألا يمسوه إلا وهم على طهارة ويخبرهم بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق ويشتد عليهم في الظلم فإن الله كره الظلم وينهي عنه قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)**﴾ [1]، ويبشر الناس بالجنة وما فيها وكيفية العمل لها وحذرهم من النار وما يقرب إليها .

من هذا المعين النبوي نهل الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وعلموا أن لدولة الإسلام رسالة واضحة المعالم لابد من القيام بها فكان لهم ما أرادوا.

مما تقدم يظهر لنا أن الدولة الإسلامية لم تكن إلا دولة رسالة ذات أهداف [2] فما دامت الدولة الإسلامية تقوم على أصول ونظم هي جزء من منهج الإسلام السياسي، فعلي وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تبرز هذه الأصول .

وقد أوجزها صاحب كتاب أصول الفكر السياسي فيما يلي:

قضية الحلال والحرام التي تشغل المسلم عند اقدامه على معاملة من المعاملات ويبدو اخيرا في عنصر الرقابة الذي يحسه امسلم من عالم الغيب .

ان ارتباط نظام الاقتصاد في الاسلام بعقيدة الاسلام وبشريعته هو الذي يجعل النشاط الاقتصادي في الاسلام على خلاف النشاط الاقتصادي في النظم الوضعية له طابعا تعبديا ساميا والرقابة عليه تكون رقابة ذاتية.

ويتضح لنا ان النشاط الاقتصادي في الاسلام له طابع تعبدي وهناك ادلة كثيرة اذ ان كل عمل يقوم به المسلم يتحول الى عبادة يثاب عليها المسلم اذ قصد بعمله هذا وجة الله سبحانة وتعالي وابتغي مرضاته وانصرفت نيته الى ذلك. ونظام الاقتصاد في الاسلام له هدف سام فاذا كان يسعي الى النفع المادي فهو لا يسعي اليه وحدة ولا يستهدفه كفاية في حد ذاته وانما يعتبره

(١) سورة هود الآية ١٨

(٢) سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص١٢٤ – ١٢٧

وسيلة لغاية اكبر وهدف اكبر واسمي هو اعمار الارض وتهيئتها للعيش الانساني امتثالا لامر الله ، قال تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)﴾[1]، وتحقيقا لخلافته في ارضه ايمانا بان الانسان سوف يقف بين يدي خالقه يسال عن هذه الخلافة وعما قدم لها والرقابة في النظام الاسلامي رقابة ذاتية فانه يوجد جوار ربه وجوار الرقابة الشرعية التى تمارسها السلطة العامة رقابة اشد واكثر فاعلية هي رقابة الضمير القائمة على الايمان بالله والحساب في اليوم الاخر، هذا الضمير نتاج التربية الاسلامية والمنهاج الاسلامي، ورقابة الله هي اكبر ضمان لسلامة السلوك الاجتماعي وعدم انحراف النشاط الاقتصادي .

ثانياً : نظام الاقتصاد في الاسلام يحقق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة: الاسلام يعترف بكل مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة طالما لم يكن ثمة تعارض بينهما او كان التوفيق بينهما ممكنا اذ ان الاسلام في مجال الملكية يعترف بالملكية ويعترف كذلك في نفس الوق بالملكية الجماعية فلا يلغي اى منهما في سبيل الاخري .

وفي مجال الحرية، فانه يعترف للفرد بحريته ولكنه لا يغالي في ذلك الى حد اطلاقها بغير قيود مما يضر الجماعة، والنظام الاقتصادي في الاسلام قديم قدم دعوة الاسلام وقد بدات قواعده ترسخ مع بدء نزول القرآن في مكة المكرمة قبل ان يعرف العالم شيئا اسمة علم الاقتصاد هذا العلم الذي لم يظهر في الغرب بنظرياته الا منذ قرنين من الزمان [2].

ففي مكة نزلت سورة المطففين ومطلعها: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾ [3] فالربا يضعف الاموال ولا يزيدها الا زيادة غير حقيقة والزكاة تزيد الاموال زيادة ظاهرة وحقيقية وعندما هاجر رسول اللهﷺ توالي التشريع الاسلامي للمجتمع الجديد ينظم كل شيء في حياة المسلم

---

(١) سورة البقرة الاية ١٦٨

(٢) احمد العسال النظام الاقتصادي في الاسلام ، الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٩٢) ص ١٨ – ٣١

(٣) سورة الروم: الأية ٣٩.

الاجتماعية والاقتصادية والتربوية [1]. تستطيع وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية من خلال فهم اهداف نظام الاقتصاد في الاسلام وفهم خصائصة ان تقدم برامجا عن طريق كل الوسائل منضبطة بهذه لااهداف والخصائص .

واذا انضبطت وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية في اداءها وفقا لهذه النظم الاجتماعية والسياسية والتربوية التعليمية والاقتصادية يكون تم ضبطها بالاطر الشرعية اذ ان الشريعة الاسلامية هي مجموعة هذه النظم .

قدم الباحث في هذا المبحث اشارات هامة في مجال النظم الاسلامية يمكن ان تستهدي بها وسائل الاتصال في ادائها بانواعها المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية ، واذا ضبطت هذه الوسئل تؤدي دورها وفقا لاطر الشريعة بهذا تكون وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية تختلف اختلافا واضحا عن وسائل الاتصال في غير الولة الاسلامية ، ومتميزة بسبب الضبط بهذه الاطر الشريعة بالاضافة الى الاطر العقيدية التى تم نقاشها في المبحث الاول من هذا الفصل والاطر الاخلاقية يتم نقاشها ففي المبحث الثالث ، ولهذا تكون الاطر التى تضبط وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ثلاثة .

ثالثاً: إطار الأخلاق :

تعد الاخلاق الناتج والمردود الحقيقي للعقيدة والشريعة وهي التى تميز السلوك الانساني ومن هنا تبرز اهميتها في ضبط مسار وسائل الاتصال لذا يتناول الباحث في هذا المبحث اهمية الاخلاق وكيفية استخدامها كمعيار لضبط حركة وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ، وما يعود على المجتمع من مصلحة من خلال ذلك .

من اهم الضوابط التى ينبغي ان تضبط وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية اطار الاخلاق في هذا المبحث يوضح الباحث ما هي الاخلاق على ضوء الاسلام وما هي النصوص التى وردت فيها واهمية الاخلاق في توجية المجتمع وصياغته وضبطه. في اللغة العربية الخلق هو السجية والطبع ويقول الامام الغزالي ان الخلق هو عبارة عن هيئة في النفس راسخة نها تصدر

(١) عبد السميع المصري ، معركة الاقتصادي الاسلامي ، الطبعة الاولي (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٩٢ م) ص ٩ – ١٠

الافعال في سهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث الصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وان كان الصادر عنها الافعال لاقبيحة سميت الهيئة التى هي المصدر خلقا سيئا .

ويقول ابن الاثير الخلق لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه واوصافها ومعانيها ولها اوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب مما يتعلقان باوصاف الصور الباطنة اكثر مما يتعلقان باوصاف الصور الظاهرة وهناك اختلاف بين الخلق والتخلق فالاخلاق سجايا وطبائع ولكن التخلق تكلف الانسان يحاول ان يظهر من اخلاقة خلاف ما يبطن ومن السلف ما يعد الدين هو الاخلاق الكريمة ويعد الاخلاق الاخلاق الكريمة هي الدين ولذلك تعرض ابن عباس لتفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)﴾[1] فقال ان المعني لعلي دين عظيم لا دين احب الى ولا ارضي عندي منه وهو دين الاسلام، ولذلك يقول ابن القيم الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، وقد اقبل رجل على رسول الله ﷺ فصار بين يديه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ فاجاب رسول اللهﷺ: الخلق ، فاتاه الرجل من قبل يمينه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ فاجابة الرسول ﷺ ثانية حسن الخلق ثم اتاه الرجل من قبل شماله وساله يارسول الله ما الدين ؟ فاجابة الرسول مرة ثالثة حسن الخلق ثم جاءه الرجل من ورائه وساله يارسول الله ما الدين فالتفت اليه رسول الله ﷺ وقا له اما تفقه ؟ هو الا تغضب[2] وهذا يتفق وما يراه علماء الاخلاق من ان الاخلاق ترجع الى قيم ثلاثة هي الجمال ولخير والحق ، وانه هو الدين القوام على هذه القيم والداعي لها والحارس لها [3].

والاخلاق التى ينبغي ان تضبط الاداء في وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية هي عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الانساني التى يحددها الوحي لتنظيم حياة الانسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق

---

(١) سورة القلم الاية ٣

(٢) نقلا عن احمد الشرباصي ، موسوعة اخلاق القران ، مجلد ١ (بيروت : دار الرائد العربي / ١٩٨٧م) ص ي

(٣) المجرع نفسه ، ص ي

الغاية من وجوده في العالم على اكمل وجه. والاخلاق نظام من العمل من اجل الحياة الخيرة وطريقة التعامل الانساني مع الغير ايا كان هذا الغير ما دام كائنا حيا من حيث ما ينبغي ان يكون عليه هذا السلوك كسلوك انساني خير تجاه الاخرين وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئولياته فيه التى يجب ان ينهض بها وبناء على ما وضع له خالقه من اهداف في هذه الحياة[1].

كما تعني الأخلاق القوى والسجايا النفسية الراسخة التي تصدر عنها أنماط السلوك الإنساني الخارجي من خلال إرادة حرة وهي تمثل الصورة الباطنة للإنسان كما أن الخلق يمثل الصورة الظاهرة وكلاهما يكون حسناً أو قبيحاً والأصل في الخلق أن يكون اختيارياً يكتسب بالجهد والمثابرة على التزام التسامي وذلك يمدح به الإنسان أو يذم ويثاب عليه أو يعاقب عليه بخلاف الخلق فهو فطرة مقسومة محددة لا دخل فيها ولا اختيار، ولا يتعلق بها لذاتها مدح ولا ذم يترتب عليها ثواب ولا عقاب .

على أننا ننبه أن الله تعالى قد فطر الإنسان من حيث هو على الخير وركز في فطرته اصول الاخلاق والفضائل السامية وركب فيه حب موافقتها وبغض اليه مخالفتها الا من انتكست فطرته تحت وطأة البيئة وضلال التربية واغواء الشيطان والاختيار الخلقي حينئذ يكون اتجاه الانسان من اصول فطرته ومقاومة عوامل التدني والتضليل المذكورة والى ذلك يسير قوله تعالي: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾**[2].

والإلهام القاء الشيء في نفس والمعني افهم النفس امرين وعرفها حالهما وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من إختبار ايهما شاءت فيفوز من تطهر من الدنيا ويخيب من طمس فطرته، ومعني دسها اخفاها بالفجور والمعاصي، والآيات الكريمة تجمع بين ما قلنا من الالهام للانسان بمقتضي فطرته والجهد الاختياري له في التزكية او التدسية وواضح ان الله تعالي يدعو الى طريق الخير الذي وصفه بالتقوي وفلاح صاحبه، ويكره الطريق الاخر بما وصفه بالفجور، وخيبة صاحبه، ولو شاء منعه قهرا ولكنه حكمته اقتضت

---

(١) عباس محجوب، اصول الفكر التربوي في الاسلام ، ط١، دمشق، دار ابن كثير ، ١٩٨٧ م) ص ٤٥

(٢) سورة الشمس الايات ٧ – ١٠

الاختيار ، ولان امر الترقي بالاخلاق امر هام كان لابد لوسائل الاتصال ان تعمل في الاطار الذي يؤدي الى اشاعة الاخلاق الفاضلة في الدولة الاسلامية ذلك لان الاخلاق تمثل جانبا خطيرا في الحياة الانسانية، وهي احدي الخصائص الكبري التى تميز الانسان وتجعل له معني اكبر من حدوده الحيوانية وقد كانت صياغة الاخلاق في المنهاج الالهي صياغة وفق لاعتقاده وبناء على اساس الحقيقة الكبري للكون والحياة وغاية الجنس الانساني وماله، ومهمة وجوده من حيث هو خليفة الله في الارض يقيم فيها شريعة الله ومنهاجه، وبين القران الكريم مهمة الاخلاق الخطيرة مع الانسان منذ النشاة الاولي حيث ذكر توبه ابينا ادم والانكسار بين يدي مولاه فقال هو وزوجة: **﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾** [١]، فكان لهما في ذلك النجاه والقبول [٢].

المطلوب من وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ان تعمل جادة وان تركز على تربية المجتمع على الاخلاق الاسلامية وهذا هو منهج القرآن والوحي .

لقد ركز الوحي نصف مدته على تربية الامة الاسلامية على العقيدة والاخلاق وشاد نظام الدولة على هذا الاساس المتين، وتربت الامة المسلمة الاولي على العقيدة والاخلاق ولم تكن بعد عرفت الصلاة كفريضة ولا الزكاة ولا الحج ولا الجهاد. واستطاعت هذه الامة بعد ذلك ان تهزم امبراطوريتين على وجة الارض وان تقيم على انقاض حضارتهما اكبر حضارة عرفها التاريخ ، جاء في القران قول الله لرسوله : **﴿وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)﴾** [٣] مع قوله تعالى: **﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١)﴾** [٤].

وجاء في الحديث: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)** [٥] وجاء في الحديث كذلك: **(ما من شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق)** [٦] وجاء قوله: **(ان المؤمن ليدرك بحسن خلقة درجة الصائم القائم)** [٧].

---

(١) سورة الاعراف الاية ٢٣

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد، المنهاج القراني في التشريع، ط١، دار الطباعة والنشر الاسلامية، ١٩٩٢ م) ص ٤٨ -٤٩

(٣) سورة القلم الاية ٣

(٤) سورة الاحزاب الاية ٢١

(٥) احمد بن الحسين بن على بن موسي ابو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبري، مكة، مكتبة دار المنار، ١٩٩٤ م، ص١٩١

(٦) محمد بن عيسي الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، بيروت، دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص٣٦٢

(٧) سليمان بن الاشعث ابي داود، سنن ابي داود، ج٤، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ص٢٥٢

لقد كانت اخلاق رسول الله ﷺ هي الترجمة للقران حتى ان السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : (ان خلقة كان القرآن) [1].

كان رسول الله ﷺ واصحابة مثلا تتحرك وفتحوا القلوب بما لم تفتحه السيوف، ودخلت قارتان الاسلام باخلاق المسلمين الذين كانوا ينتقلون خلالها للتجارة دون ان تراق الدماء [2].

وواضح من ذلك ان الذين كانوا يقومون بالاتصال بهذه الشعوب كانوا منضبطين بالاخلاق الاسلامية وهو منهج يجب ان تستفيد منه وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية المعاصرةحتى تكسب انصار للاسلام وان تربي افراد المجتمع على الاخلاق الاسلامية من خلال ما يراه الانسان ويشاهده ويقرأه .

نجد وسائل الاتصال بمختلف انواعها تشملها الاخلاق الاسلامية اذ ان الاخلاق في الاسلام لم تدع جانبا من جوانب الحياة الانسانية روحية او جسمية، دنية أو حيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو جماعية، الا سمت له المنهج الامثل للسلوك الرفيع ، فما فرقه الناس في مجال الاخلاق باسم الدين وباسم الفسفة وباسم العرف او المجتمع قد ضمه القانون الاخلاقي في الاسلام في تناسق وتكامل وزاد عليه فيما يلي :

١/ وان من اخلاق الاسلام ما يتعلق بالفرد في كافة نواحية :

أ / جسما له ضروراته وحاجاته بمثل قوله تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١)﴾** [3] وقول رسول الله ﷺ: **(إن لبدنك عليك حق)** [4].

ب / وعقلا له مواهبه وآفاقه، يقول الحق سبحانه: **﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾**[5]، **﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)﴾** [6].

---

(١) محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج القرطبي، تفسير القران، ج١٨، ط٢، القاهرة، دار الشعب، ١٩٧٢م، ص٢٢٧

(٢) على جريشة، المشروعية الاسلامية العليا، المنصورة، دار الوفاء، بدون تاريخ، ص٦١

(٣) سورة الاعراف الاية ٣١

(٤) على بن ابي بكر القيشمي ، مجمع الزوائد ، الجزء السابع (القاهرة : دار الكتاب العربي ١٤٠٧ ه ــ) ص ٢٣٩

(٥) سورة يونس الاية ١٠١

(٦) سورة سبأ الاية ٤٦

٢/ ومن اخلاق الاسلام ما يتعلق بالاسرة :

أ/ كالعلاقة بين الزوجين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً (١٩)﴾[١].

ب/ ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ (١٥)﴾ [٢]، ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً (٣١)﴾[٣] .

ج / والعلاقة بين الاقارب والارحام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾ [٤]، ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً(٢٦)﴾[٥].

٣/ ومن اخلاق الاسلام ما يتعلق بالمجتمع :

أ / في ادابه ومجاملاته مثل ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٣٢)﴾[٦].

ب / وفي اقتصاده ومعاملاته: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧)﴾[٧]، ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا

---

١ سورة النساء الاية ١٩
٢ سورة الاحقاف الاية ١٥
٣ سورة الاسراء الاية ٣١
٤ سورة النحل الاية ٩٠
٥ سورة الاسراء الاية ٢٦
٦ سورة النور الاية ٣٢
(٧) سورة المطففين الايات ١ – ٦

كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)﴾ [١].

ج / وفي سياسته وحكمة: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً (٥٠)﴾ [٢].

٤/ومن اخلاق الاسلام ما يتعلق بغير العقلاء من الحيوان والطير كما في الحديث: (اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكاوها صالحة)[٣]، وفي الحديث: (في كل كبد رطب اجر) [٤].

٥/ ومن اخلاق الاسلام ما يتعلق بالكون من حيث انه مجال التامل والاعتبار والنظر والتفكير والاستدلال بما فيه من ابداع واتقان على وجود مبدعه وقدرته على علمه وحكمته قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾[٥]. ومن حيث انه مجالا للانتفاع والاستمتاع بما اودع فيه من خبرات وما ببث فيه من قوي مسخرة لمنفعة الانسان وما اسبغ فيه من نعم تستوجب الشكر لواهبها والمنعم بها قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠)﴾[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)﴾ [٧].

٦/ وقبل ذلك كله وفوق ذلك كله ما يتعلق بحق الخالق الذي منه كل النعم وله كل الحمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)

---

(١) سورة البقرة الاية ٢٨٣
(٢) سورة النساء الاية ٥٠
(٣) محمد بن اسحق بن خزيمة ، صحيح بن خزيمة ، الجزء الرابع (بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٩٧٠ م) ص ١٤٣
(٤) يعقوب بن اسحق ، مسند ابي عوانه ، الطبعة الاولي (بيروت : دار المعرفة ١٩٩٨ م) ص ٢٦٨
(٥) سورة ال عمران الايات ١٩٠ – ١٩١
(٦) سورة لقمان الاية ٢٠
(٧) سورة البقرة الاية ١٧٢

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)﴾[1].

فهو وحده المستحق بان يحمد الحمد كله ، وان نرجو رحمته الواسعة وان يخشي عقابة العادل يوم الجزاء ، وهو وحده الذي يستحق ان يعبد ويستعان وان تطلب منه الهداية الى الصراط المستقيم وبهذا يتجلي شمول الاخلاق الاسلامية من حيث وموضوعها ومحتواها ، ولكن الشمول في الاخلاق الاسلامية يبدو كذلك اذا نظرنا الى فلسفتها ومصدر الالزام بها ، لقد شاء الله للاسلام ان يكون رسالة الأمة الخالدة فهو هداية الله للناس كافة من كل الامم وكل الطبقات ، كل الافراد وكل الاجيال والناس تختلف مواهبهم وطاقاتهم الروحية والعقلية والوجدانية وتتفاوت مطامحهم وامالهم ودرجات اهتماهم ولهذا جمعت الفكرة الاخلاقية وتفسيرها المصدر الالزام الخلقي ، فلم يكن عيب كل نظرية انها نظرة من زاوية واغفلت اخري وهو امر لازم لتفكير البشر الذي يستحيل عليه ان ينظر في قضية نظرا يستوعب كل الازمنة والامكنة فلا غرو اذا كانت نظرة الاسلام جامعة محيطة مستوعبة لانها ليست نظرة بشر بل وحي من احاط بكل شيء علما واحصي كل شيء عددا ، لهذا اودع الله في هذا الدين ما يشبع كل نهمه معتدل ، وما يقنع كل ذي وجة ويلائم كل تطور فمن كان مثاليا ينوع الى الخبرات لذات الخير وجد في أخلاق الإسلام ما يرضي مثاليته، ومن كان يؤمن بمقياس السعادة وجدة في الفكرة الاسلامية ما يحقق سعادته وسعادة المجموع معه ومن كان يؤمن بالترقي الى الكمال وجد فيه ما يحقق طلبه، ومن كان همه التكيف مع المجتمع وجد فيه ما يلائم اجتماعيته، حتى الذي يؤمن باهمية اللذة الحسية يستطيع ان يجدها فيما اعد الله للمؤمنين في الجنة من نعيم مادي وحسي: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)﴾[2]. هذا الشمول في الاخلاق الذي يتمتع به الاسلام يجب على وسائل الاتصال ان تبرزه وعلى

(١) سورة الفاتحة الاية ٢-٦

(٢) سورة الزخرف الاية ٧١

القائمين على هذه الوسائل معرفة هذا الشمول في محاوره المختلفة حتى يستطيعوا ان يحموا المجتمع من الاخلاق السيئة التى تقعد بالمجتمع ولا يستطيع ان يؤدي مهامه وفق المبادئ الاسلامية .

واذا التزمت وسائل الاتصال في عرضها على هذا الشمول في مجال الاخلاق سوف تحقق الانضباط المرجو على ضوء الاسلام [1].

والاسلام كما جاءت الاخلاق فيه شاملة كذلك كانت هذه الاخلاق واقعية اذ ان الاسلام جاء بالاخلاق الواقعية التى اعدت الطاقة المتوسطة المقدورة لجماهير الناس فاعترفت بالضعف البشري والدوافع البشرية والحاجات البشرية والنفسية .

أ / لم يوجب الاسلام على من يريد الدخول فيه ان يتخلي عن ثروته وامور معيشته كما يحكي الانجيل عن المسيح انه قال لمن اراد اتباعه دع مالك واتبعني ، ولا قال القرآن ما قال الانجيل .

بل راعي الاسلام حاجة الفرد والمجتمع الى المال فاعتبره قواما للحياة وامر بتنميته والمحافظة عليه وامتن القران بنعمه الغني والمال في غير موضع وقال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** (٨)﴾ [2].

وقال رسول الله ﷺ: **(ما نفعني مال كمال ابي بكر)** [3]. وقال لعمرو ابن العاص: **(نعم المال الصالح للرجل الصالح)** [4].

ب / لم يجيء القرآن ولا السنة ما جاء في الانجيل من قول المسيح احبوا اعدائكم باركوا لاعينكم من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر ومن سرق قميصك فاعطه ازراك [5].

قد يجوز هذا في مرحلة محدودة ولعلاج ظرف خاص ولكنه لا يضلح توجيها عاما خالدا لكل زمان ولكل الناس في كل ا عصر، وفي كل بيئة وفي كل حال فان مطالبة الانسان العادي بمحبه عدوه ومباركة لاعنه قد

---

(١) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للاسلام ، مرجع سابق ص ١٧ – ١٢١

(٢) سورة محمد الاية ٨

(٣) رواه احمد عن ابي هريره واسناده صحيح كما في التيسير للمناوي

(٤) رواة احمد في مسنده والطبراني في الكبير باسناد صحيح

٥ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٥

يكون فوق ما يحتمله ، لذا اكتفي الاسلام بمطالبته بالعدل مع عدوه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(٨)﴾ [1] وقد تجلت واقعية الاسلام حين شرع مقابلة السيئة بمثلها بلا حيف ولا عدوان فاقر بذلك مرتبة العدل ودرء العدوان، ولكنة حث على العفو والصبر والمغفرة للمسئ على ان يكون ذلك مكرمة يرغب فيها لا فريضة يلزم بها ، وهذا واضح في مثل قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)﴾[2].

والرجوع الى الله كما وصفهم الله تعالي بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)﴾[3] .

ومن واقعية الاخلاق الاسلامية انها راعت الظروف الاستثنائية كالحرب فاباحت من اجلها ما يباح في ظروف السلم كهدم المباني وتحريق الاشجار ونحوه ومثل الكذب لتضليل العدوعن حقيقة الجيش الأسماء وعدد وعتاده وخطبه فان الحرب كما جاء في الحديث خدعة [4].

وبما ان الاخلاق في الاسلام اخلاق واقعية قابلة للتطبيق كان لابد لوسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الالتزام بالمنهج الاخلاقي الاسلامي، والاخلاق كما تقدم شاملة لكل انواع الحياة مما يجعل لوسائل الاتصال مادة متنوعة تعالج من خلال هذه المادة كل البرامج من منظور اخلاقي اسلامي .

ولم تقتصر الاخلاق الاسلامية التى تدعوا لها الدولة الاسلامية من خلال وسائل الاتصال على الحياة الانسانية الظاهرة والباطنة والفردية والجماعية ، الداخلية والخارجية والمحلية والعالمية ، بل اضافت لها بعدا جديداً وخطيراً تمثل في اقامة دولة عالمية على اساس اخلاقي متين ، فكان شيئا فريدا في

---

١ سورة المائدة الاية ٨

٢ سورة الشوري الاية ٤٠

(٣) سورة ال عمران الاية ١٣٥

(٤) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ – ١٦٨

نوعه ان يستوي الحاكم والمحكوم وان يقتص الحاكم من نفسه لادني رعاياه ، وان يعف عن اموال الدولة حتى الجوع والاستدانة ، وان يحرم الغدر ولو بالعداء وتحترم المعاهدات معهم حتى ننبذ اليهم على سواء ، وغير ذلك كثير مما لم يكن للدولة به عهد ولا اعتبار ، وربما كان لديهم مبادئ نظرية في هذا لكنها لم ترق الى مواقع التنفيذ ، فضلا عن ان يصبح واقعا عمليا لحياة الناس الواسعة المتقلبة ، ومن هنا ندرك معني قوله ﷺ: **(انما يعثت لاتمم مكارم الاخلاق)** [1]. ذلك لان الاخلاق من قبله لم تظفر بها التاسيس النظري والتطبيق العملي مع مدة الى افاق شاسعة من الحياة وارجاء واسعة من الارض حتى اصبح للاخلاق ثقلها العظيم في الناس بعد ان كانت تتواري وغدت للدولة اخلاق ردت للانسان معني انسانيته فيه بعد ان جردته مناهج الجاهليات واضاليلها من خير معاينة وجماع الاخلاق الاسلامية يعود الى امرين هما (الخير والحق) وينبغي لوسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الاهتمام بها ، ولم يترك الله تعالي شيئا من خلال الحق وخصال الخير الا قرره واكده وامر به ، وبغض لنا نقيضه وانذر من فعله [2].

وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية عندما يتم ضبطها بالاخلاق الاسلامية فهي تحقق اهداف عليا وهي نفس الاهداف التى هدفت لها الرسالات السماوية ، اذ ان هدف الرسالات السماوية كلها هدف اخلاقي لانها تستهدف ارشاد الانسان الى طريق الخير وباعاده عن الشر في الدنيا وسواء العاقبة في الاخرة وهذا هو موضوع الاخلاق ، ولهذا قال رسول الله ﷺ **(الدين حسن الخلق)** [3]. وكانت عائشة رضي الله عنه تفهم هذا المعني من الدين الاسلامي ولهذا فهي عندما سئلت عن اخلاق النبي ﷺ قالت: **(كان خلقة القرآن)** [4] ويؤيد هذا قول رسول الله ﷺ: **(الدين حسن خلق)**[5].

---

(١) رواه احمدوالبيهقي في الشعب والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبخاري في الادب للفرد من حديث ابي هريره

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد ، المنهاج القرآني في التشريع ، مرجع سابق ،ص ٤٠٨ – ٢٠٩

(٣) احمد بن حنبل، المسند ج ٢ ص ٣٨١ مختصر صحيح البخاري، زين الدين الزبيدي (دار النفائس، ١٤٠٥هـ) ج ١ ص ٢٧

(٤) محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي ، الجزء ١٨ ، مرجع سابق ص ٢٢٧

(٥) محمد بن عيسي الترمذي ، سنن الترمذي ، الجزء ٤ ، مرجع سابق ص ٣٦٢

وقوله كذلك الاسلام **(حسن الخلق)** وقال ﷺ: **(ما من شيء اثقل في الميزان من حسن الخلق)** [1] وروي انه قال: **(حسن الخلق خلق الله الاعظم)** [2].

وعندما سئل رسول الله ﷺ اى الاسلام افضل قال: **(من سلم المسلمون من لسانة ويده)** [3]، وقال تعالى: **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾** [4] اى على دين فيه اخلاق عظيمة، لان الدين عبارة عن واجبات نحو المخلوقات الحية الاخري واذا علمنا ان الله لم يصف احدا من انبيائه بالخلق العظيم وانما وصفهم باوصاف مثل رشيد وصالح وحليم علمنا السر في اهمية الاخلاق [5].

وللرسالة الإسلامية غايات من هذه الغايات التى تريد الرسالة الاسلامية تحقيقها الغاية الانسانية السامية وهي ان يكون للانسان خلق كريم وسلوك نظيف يليق بكرامة الانسان ويتفق مع ما خلق من خلافة عن الله في الارض وهذه هي الغاية التى حاولها الفلاسفة والعلماء والمصلحون عبر قرون مضت ولم يبلغوا منها شأواً أن يصلوا الى تحقيق هذا الامل المنشود وجعلها الاسلام غاية وحرص على تحقيق هذه الغاية الخلقية النبيلة يقصد بها ايجاد عناصر قوية وافراد صالحين كي يستطيعوا ان يسهموا بقلوبهم وعقولهم في ترقية الحياة واعلائها وليكونوا اهلا لجوار الله ورضوانه فيما وراء هذه الحياة .

ان المثل الاعلي للافراد هو الشرف والنزاهة والاستعلاء على الهوي وعرفان الحق والصواب والامساك باهداب الفضيلة والاندماج في جو روحي خالص بعيد عن نقائص المادة وشوائب الروح والمثل الاعلي للجماعة هو التعاون والايثار والنصيحة وانكار الذات والمحبة والمودة والصدق والاخلاص والامانة والتسامح وسلامة الصدر .

اذا سارت وسائل الاتصال وفق الاطر الاخلاقية التى جاء بها الاسلام فانها بترسيخ الاخلاق السامية تصل الانسان الى الكمال المتمثل في :

---

(١) محمد بن عيسي الترمذي ، سنن الترمذي ، الجزء ٤ ، مرجع سابق ص ٣٦٢

(٢) ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني، المعجم الاوسط، ج٨، القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ)، ص١٨٤

(٣) محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، الجزء الاول ، مرجع سابق ص ١٣

(٤) سورة القلم: الآية ٤ .

(٥) مقداد يالجن ، علم الاخلاق الاسلامية ، الطبعة الاولي (الرياض : دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٦ م) ص ٤٨ – ٤٩

١/ تفجير طاقات الانسان كلها في طريقها الصحيح العلمية، والروحية، والنفسية والجسدية، فلا تبقي طاقة معطلة فيصبح العلم فريضة والتفكير فريضة والصفاء الروحي فريضة والاخلاق اكتسابها والتخلق بها فريضة وتدريب الجسم فريضة والزواج في الاسلام افضل من التفرغ للعبادة كما نص عليها فقهاء الحنفية .

٢/ ان كثير من اخلاق النفس الانسانية تكون لعدم استعمالها وتنميتها اما في الاسلام فلا يبقي خلق للنفس الا وقد نمي من الحنان الى الكرم الى الحل الى الهداية الى الرحمة الى اللطق وما من خلق للنفس الا نمي التنمية الصحيحة السليمة .

٣/ عن كثير من الظواهر المرضية تنمو عند الكافرين، كالحسد والغل والحقد والكبر والتعالي، اما في الاسلام فان هذه الظواهر تجتث اجتثاثاً .

٤/ ان بالاخلاق الاسلامية وحدها يحقق الانسان حكمة وجودة ويعثر بها على محله الصحيح في الوجود وهو سيد الكون عند الله .

٥/ ان الاخلاق الاسلامية وحدها التى تجعل الانسان يؤدي الى كل ذي حق حقه حيوانا كان او انسانا او جمادا او نباتا فضلا عن قيامه بحقوق رب العالمين.

وبهذا يكون المسلم وحده هو الانسان في وضعه السليم الصحيح وما عداه فلا نطلق عليه صفة الانسانية الا تجاوزا .

ان الله خلق رسوله ﷺ مستجمعا لكل الكمالات الانسانية التى لا يبقي معها مزيدا للمستزيد. فاذا ما فرض الله على كل مسلم ومسلمة ان يقتدي لرسول الله ﷺ فشيء عادي ان يكون المسلم الحق مستجمعا من الكمال ما لا يستجمعة احد [1].

وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية تستطيع ان تصل بالانسان الى الكمال في مجال الاخلاق وان تقدم ان رسول الله ﷺ هو المثل الاعلي وقد كملت اخلاقة ، وان تقود وسائل الاتصال افراد المجتمع في الدولة الاسلامية

(١) سعيد حوي ، الاسلام ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩١ م ، ص ٣١٩

حتى تقنعهم بان يجعلوا الرسول ﷺ اسوتهم في مكارم الاخلاق ، ذلك ان الرسول ﷺ هو الذي استجمع كل الكمالات لا سيما في الاخلاق والاخلاق التى ينبغي ان تضبط وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية في نظام من العمل من اجل تحقيق الحياة الخيرة وطريقة التعامل الانساني مع الغير ايا كان هذا الغير ما دام كائنا حيا ، من حيث ما ينبغي ان يكون عليه هذا السلوك كسلوك انساني خير تجاه الاخرين وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئولياته فيه التى يجب ان ينهض بها وبناء على ما وضع له خالقه من اهداف في هذه الحياة ، والسلوك الاخلاقي في الاسلام يمثل روح الاسلام وحقيقته ونظامه وتتميز الاخلاق الاسلامية عما عرفته البشرية في الماضي والحاضر بخصيتين :

الاولي : ان الاخلاق الاسلامية وحي من الله سبحانة وتعالي والمسلم مطالب بتطبيقه والاخذ به ظاهرا وباطنا بحريته واختياره .

الثانية : ان الاخلاق الاسلامية طابعها انساني لا تتقيد بحدود الزمان والمكان وهي اخلاق صالحة للبشرية ما دامت على الارض وان طابعها الثبات وعدم التحول او التبدل لانها ايضا إلاهية مستمرة فيها صلاح العباد [1].

فما احوج وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الى ان تضبط بالضوابط الاخلاقية الاسلامية وهي تحمل هذه الميزات وتنفرد بها عن غيرها من المذاهب ، فلابد لهذه الوسائل ان تدعو للخير كميزة وهي اسمي الغايات وانبل المقاصد وأن يحرص الانسان على الخير ويسارع اليه .

والانسان يسمو بالدعوة الى الخير ويتشبه بالملائكة ويتخلق باخلاق الله البار بعباده الرحيم بخلقه، ومن ثم فان الله يامر بفعل الخيرات والمسابقة اليها فيقول: **﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)﴾** [2].

ان غايات الانسان مختلفة واهدافهم شتي فمنهم من تتحكم فيه الشهوات النفسية كالحياء وادناسه والعلو في الارض وهو ما يسمي عندهم بالكرامة والشرف ، اما الاسلام فانه يجعل وجهة المسلم متجهة الى فعل

(١) عباس محجوب ، اصول الفكر التربوي الاسلامي ، مرجع سابق ص ٤٥
(٢) سورة البقرة الاية ١٤٨

الخير والمسابقة اليه دائما وقد اكثر الله سبحانة وتعالي من الدعوة الى الخير وجعله احد عناصر الفلاح والفوز: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)﴾[١]. واخيرا اوحي الى انبيائه ورسله فعل الخيرات فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)﴾[٢]. ومدح المسارعين اليه والحريصين عليه فقال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾[٣].

وجعل الله جزاء الخير الجنة فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنْ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)﴾[٤].

وروي ابن ماجه عن سهل بن سعيد ان رسول الله ﷺ قال: **(ان هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى (الخير الكثير) لعبد جعله الله مفتاحا للخير، مغلاقا للشر وويل لعبد جعله مفتاحا للشر مغلاقا للخير)** [٥].

وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية مطلوب منها ان تقوم بالعمل الذي ذكره الحديث في حق الافراد وان تكون هذه الوسائل مفتاحا لهذا لخلق الكريم الخير ، والله سبحانة وتعالي يوازن بين المثل العليا والاتصاف بالمكارم وبين الفضائل ابقي واعظم زخرا واجدر بالاهتمام وخير له في الدنيا والاخرة. يقول تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦)﴾[٦] ويقول: ﴿(فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ

---

(١) سورة الحج الاية ٧٧
(٢) سورة الانبياء الاية ٧٣
(٣) سورة الانبياء الاية ٩٠
(٤) سورة المزمل الاية ٢٠
(٥) محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني ، سنن ابن ماجه ، الجزء ١ (بيروت : دار الفكر) ص ٨٧
(٦) سورة الكهف الاية ٤٦

﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)﴾[١].

من الاخلاق التى تضبط وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الحياء والا تقدم وسائل الاتصال ما يتعارض مع المبادئ الاسلامية في الحياء لانه من اقوي البواعث على الاتصاف بما هو حسن واحتثاث ما هو قبيح ، واذا تخلق به المرء سارع الى مكارم الاخلاق وبعد عن رذائل الصفات وكان سلوكه نظيفاً مهذبا فلا يكذب في القول ولا تطاوعه نفسه في اقتراف الاثم ولا تطارده الميول الفاسدة ولا يستبد به الهوي او تنقلب عليه نزوات الشيطان ، والحياء بهذا المعني هو الذي عناه الرسول ﷺ وهو يحض صحابته على الاستمساك بالحياء بقوله: **(استح من الله استحياء رجل ذي هيبه من اهله)**[٢]. والاستحياء من الله بينه رسول الله ﷺ فقال: **(استحوا من الله حق الحياء، قالوا يا بني الله ان تحفظ الراس لنستحي والحمد لله، قال: ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الراس وما وعي وتحفظ البطن وما حوي وتذكر الموت والبلي ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)** [٣].

الحديث يشير الى ان الحياء ليس هو الانكسار الذي يعتري الانسان من خوف وما يذم عليه ولكن يتمثل في امور هي :

١/ حفظ الحواس السمع والبصر واللسان من ان تاتي منكرا او تفعل ما تندم عليه .

٢/ حفظ البطن من الشراهة وكثر تناول الطعام وحفظها من اكل ما حرم الله وحفظ الفرج من الزنا والرفث .

٣/ ترك ما حرم الله من زينة الدنيا فهذا هو الحياء الكامل والخلق الذي يريده الله للناس هو الامر الذي يجب ان تسعي وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الى اشاعته والانضباط به والانسان اذا تحلي به يبلغ نهاية الكمال

---

(١) سورة الشوري الاية ٣٦

(٢) ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٨هـ)، ص٦١

(٣) محمد بن عيسي الترمذي ، سنن الترمذي ، الجزء ٤ ، مرجع سابق ص ٦٣٧

واذا تخلي عنه سارع الى الشر والحياء من الخلق يقول رسول الله ﷺ: **(ان لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء)**[1].

ان تعاليم الاسلام في الحياء يجب ان تنضبط بها وسائل الاتصال كواحدة من الضوابط الاخلاقية ولا تعرض عنها لان الاعراض عن هذا الخلق وهذه التعاليم ، لذا نجد تفشي الاستهتار في المجتمع بالقيم الرفيعة والاستهانة بالتقاليد الحسنة والتحرر من الفضائل المورثة ، وانتشرت الرذائل ، واخذت طريقها الى افساد القلوب والعقول فمن مناظر التبرج وعرض مفاتن الجسد الى اغاني رخيصة مبتزلة الى كتب جنسية مثيرة الى قصص عابثة الى صور فاضحة على شاشات التلفزيون الى افلام سينمائية خليعة تغري بالفسق والفجور وكثير من امثال هذه النقائض التى تسلب الانسان الحياء وتزين له الشر وتغمسه في الشهوات والآثام .

في الدولة الاسلامية يقع على عاتق وسائل الاتصال وضع خطة محكمة لتطهير افراد الدولة الاسلامية من هذه المفاسد وتخليصهم من دعاه الاباحية والتحلل [2].

مما تقدم يتضح لنا اهيمة الحياء في الاسلام وكيف انه من الاخلاق الاساسية لتقويم مسار المجتمع ، وكذلك تقويم وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية .

بجانب خلق الخير والحياء هناك خلق هام ينبغي ان تنضبط به وسائل الاتصال وهي تمارس دورها في التغيير الاجتماعي في الدولة الاسلامية ، وهو خلق الامانة اذ لابد لوسائل الاتصال ان تشيع خلق الامانة في المجتمع وان ينضبط الاداء في وسائل الاتصال بهذا الخلق ، والامانة واحدة من المبادئ الاسلامية الهامة قال تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢) ﴾**[3].

---

(١) رواه مالك في الموطأ مرسلا ورواه ابن ماجه

(٢) السيد سابق ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ – ١٦٠

(٣) سورة الاحزاب الاية ٧٢

الامانة خلق ايجابي لا يستحق ان يوصف بها الا من منحت له فرصة الخيانة من غير ضرر يلحق به فاظهر المناعة وقوة الارادة والعفة المبنية على السمو في النفس والروح والامانة في المجتمع لا تكون بقوة السلطان وانما هي اخلاق يربي عليها المجتمع ولذلك اوجب على وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ان تقوم بواجب توجيه افراد الدولة على الامانة وعرض مواقف وبرامج توضح اهمية الامانة في المجتمع وكيف ان المجتمع الذي تتوفر في افراده الامانة يمكن ان يكون مجتمعا فاضلا [1].

إن الآيات الواردة في الاخلاق وشمولها كثيرة ومبثوثة في السور المكية والمدنية وقد احتوت قواعد وتوجيهات اخلاقية شخصية امرا ونهيا وحثا وتحذيرا لان النظم السياسية والاقتصادية في الاسلام انما تقوم على الافراد وتتاثر هذه النظم بالافراد صلاحا وفسادا وقوة وضعفا وآيات لم تترك صغيرة ولا كبيرة من فاضل الاخلاق ورزيلها الا وضحتها.

تجد وسائل الاتصال العديد من الاخلاق التى يمكن ان تضبط بها الاداء في مجالات شتي كالصبر والصدق والحب والامانة، والتواضع والاخلاص، واللين والعفو، والتسامح، والاحسان والعفة، والاعتدال والبذل، وقول الحق وفعله ونصرته، والبر بالفئات الضعيفة، وجعل الحسني قاعدة التعامل ودرء السيئة والعدل والانصاف المجردين من كل شائبة ونزوة وعاطفة والتعاون على البر والتقوي، والدعوة الى الخير والحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالصبر والرحمة والاستمتاع بالطيب والحلال في حدود الاعتدال والطهارة في البدن والثياب واحترام الغير ودمه، وعرضه وماله وكالجزع والكذب، والنكث والخيانة، وشهادة الزور، والكبر والزهو، والنفاق والرياء والفظاظة والحقد والفحش، والاسراف والبخل، وكتم الحق وخذلة واضطهاد الفئات الضعيفة ومقابلة الاحسان بالاساءة والبغي والانانية، والاثرة والانهماك في الذات والشهوات والتعاون على الاثم والعدوان والامر بالمنكر واشاعة الفاحشة والعدوان على حق الغير ودمه وعرضه وماله، الا اشارت

(١) عبد لاغني الدقر ، لمحات من الكتاب والنبوة والحكمة ، ١٩٩٨ ن ، ص ٢٩

اليها منوهة بالاولي وفاعليها ومنددة بالثانية ومقترفيها وزاجرة عنها ، ومبنية في ذات الوقت ما للاخلاق الفاضلة من اثر في صلاح الانسان وعادته وطمانينتة وصلاح الانسانية كذلك وسعادتها وطمانينتها وما لاضدادها من اثر سيء في حياة الانسان والانسانية مما انفرد به القرآن على الوجة الذي عليه ، عن سائر الكتب السماوية شمولا واسلوبا [1].

في هذا المبحث الهام استعرض الباحث اهمية الاخلاق في الاسلام وكيف تكون هذه الاخلاق احدي الضوابط التى تسير عليها وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ؟ وكيف تنضبط بهذه الضوابط والاطر حتى تحقق الفوائد المرجوة منها ؟ .

(١) محمد عزة دروزة ، في شئون الحياة ، دار احياء الكتب العربية ، ص ٥١٣ – ٥١٤